روح العالم

رجال أشرق بهم العالم بنور الوحي



أحمد بن صالح بن إبراهيم الطويان

دار الحضارة للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى


روح العالم
رجال أشرق بهم العالم بنور الوحي

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الطويان، أحمد بن صالح بن إبراهيم
روح العالم (رجال أشرق بهم العالم بنور الوحي)./ أحمد بن صالح بن إبراهيم الطويان- ط١-الرياض ١٤٤٢هـ
ص ؛ ٠٠×٠٠ سم
ردمك: ٩-٤٥-٨٣١٣-٦٠٣-٩٧٨
١-آدم (عليه السلاة والسلام) ٢- قصص الأنبياء أ- العنوان
ديوي ٢٢٩,٥ ١٤٤٢/٣٤٩٨

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٣٤٩٨
ردمك: ٩-٤٥-٨٣١٣-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبْعَةُ الأولَى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هـاتف: ٢٤١٦١٣٩- ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩
فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣
الرقم الموحـد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨



رجال أشرق بهم العالم بنور الوحي

أحمد بن صالح بن إبراهيم الطويان

دار الحضارة للنشر والتوزيع



مقدمة

الحمد لله الذي جعل الأنبياء والرسل روح الحياة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا خير رسله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه .. وبعد:

فإن إرسال الرسل ضرورة ملحة للعباد، لابد لهم منها، وحاجتهم إلى ذلك، فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونور الحياة وحياتها، فأي صلاح للحياة إذا عدم الروح، والدنيا مظلمة إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة، وحياة الناس بلا رسالة حياة لا روح فيها، ولا سعادة ولا هدى، فالأنبياء هم الهداة للبشرية وبعثتهم نور وهدى للبشرية، وهم حجة الله على عبادة، وهم خير الناس اصطفاهم للنبوة والرسالة، وهم القدوة والأسوة وفي سيرهم وحياتهم هداية، وتثبيت للقلوب، وفي دعوتهم دروس وعبر، يستلهم منها المؤمن منهج الدعوة والاصلاح، والايمان بهم جميعًا من أركان الإيمان، لانفرق بين أحد من رسله، آمنا بهم جميعهم، وشهدنا لهم بالبلاغ كما شهد لهم الله في

القرآن، فنحن الأمة الشاهدة على الأمم.

وفي هذه السطور عرض موجز لحياة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وفاء بحقهم، وبيانًا لفضلهم، فما كان من توفيق وسداد فمن الله وحده، وما كان من خلل ونقص فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله منه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه

أحمد بن صالح بن إبراهيم الطويان

الرياض ١٤٤١/١٢/٢٠هـ

آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ

اقتضت حكمة أحكم الحاكمين خلق آدم من تراب الأرض من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض. جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث، والطيب والسهل، والحزن وبين ذلك [1].

وقد خمر الله تبارك وتعالى طينة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أربعين ليلة وأربعين يومًا، ثم ضرب بيده فخرج كل طيب بيمينه، وكل خبيث بيده الأخرى، ثم خلط بينهما، فمن ثم يخرج الحي من الميت والميت من الحي [2].

وسُمي آدم، لأنه خلق من أديم الأرض وسُميَّ الإنسان، لأنه نسي [3].

فلما خلق الله آدم، وصوره في الجنة تركه ما شاء الله أن يدعه،

(1) مسند أحمد ط الرسالة (32/ 353) 19582 وسنن أبي داود 4693 وسنن الترمذي 2955عن أبي موسى عن النبي ﷺ وهو حديث صحيح.

(2) الأسماء والصفات للبيهقي (2/ 151)717والإبانة لابن بطة (2/ 169) 1650والعظمة لأبي الشيخ (5/ 1546)من كلام سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو صحيح إلى سلمان.

(3) التوحيد لابن منده (ص: 96) 74 عن ابن عباس موقوفًا وهو صحيح.

فجعل إبليس يطيف به ينظر إليه، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقًا لا يتمالك[١]. فقال ظفرت بك، فعرف ضعف آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يملك نفسه ولا يحبسها عن الشهوات، ولا يمنع دفع الوسواس عنه ولا يملك نفسه عند الغضب.

خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا[٢] وذلك يوم الجمعة، بعد العصر آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل[٣]، خلقه الله بيديه، ونفخ الله فيه الروح.

ولما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس فقال: الحمد لله رب العالمين فقال له الله تبارك وتعالى: يرحمك الله[٤].

خلق الله آدم على صورته[٥] سميعًا بصيرًا متكلمًا، له وجه ويدان، وعينان[٦].

ثم قال له: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما

---

(١) صحيح مسلم ٦٨١٥ومسند أحمد ط الرسالة (٢٠/ ١٦) ١٢٥٣٩ عن أنس، عن رسول الله ﷺ.

(٢) صحيح البخاري ٣٣٢٦ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ.

(٣) صحيح مسلم ٢٧٨٩.

(٤) صحيح ابن حبان (١٤/ ٣٧) ٦١٦٥ عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ وهو صحيح

(٥) صحيح البخاري ٦٢٢٧ وصحيح مسلم ٧٣٤٢ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

(٦) مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٢٧٥).

يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله(١).

وأمر الله الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا له إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه.

وفضل الله تعالى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ على الملائكة بالعلم، علمه أسماء كل شيء، علمه أسماء الأشياء كلها: ذواتها وأفعالها؛ المكبر والمصغر، علمه البيان عن كل شيء ولم يستطع الملائكة معرفة ما علمه آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ. وظهر بذلك فضله عليهم.

ولما خلق الله آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء، كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة، ولا أبالي وقال: للذي في كفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي (٢).

فمسح الله ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من

---

(١) صحيح البخاري ٣٣٢٦ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٤٥/ ٤٨١) ٢٧٤٨٨ مسند البزار (١٠/ ٧٨) ٤١٤٣ عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ وهو حديث حسن.

ذريته إلى يوم القيامة وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصًا من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال: أي رب من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود فقال: رب كم جعلت عمره؟ قال ستين سنة قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة [١].

ولما عرض لآدم بنيه جعل يرى فضائل بعضهم على بعض قال فرأى نورًا ساطعًا في أسفلهم فقال يا رب من هذا؟ قال هذا ابنك أحمد هو الأول والآخر وهو أول شافع [٢].

وأسكن الله تعالى آدم عَلَيهِ السَّلَامُ الجنة يوم الجمعة[٣]. فكان يمشي في الجنة وَحْشًا ليس له زوج يسكن إليها، فنام نومة فخلق الله من آدم حواء، عليهما السلام، خلقت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو

---

(١) سنن الترمذي ٣٠٧٦ و المستدرك (٢/ ٣٢٥) ٣٢٥٧ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وهو صحيح.

(٢) دلائل النبوة ـ للبيهقى (٥/ ٤٨٣) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وهو حسن.

(٣) صحيح مسلم ٢٠١٣.

نائم، فاستيقظ فرآها فأعجبته، فأنس إليها وأنست إليه، فسألها: من أنت؟ فقالت: امرأة. قال: ولم خلقت؟ قالت: تسكن إليّ. قالت له الملائكة - ينظرون ما بلغ علمه-: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء. قالوا: ولم سُميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حيّ. فقال الله له: «يا آدمُ اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رَغدًا حيث شئتما»[1].

فأباح لهما الأكل من الجنة، وكتب لهما فيها، لا يتعرضا لأي أذى حتى أذى الشمس، وكساهما من الجنة، ولا يجوعا، ولا يعطشا في الجنة، وحرّم الله عليه الأكل من الشجرة، فوسوس لهما الشيطان، أن يأكلا من الشجرة ليكتب لهما الخلود في الجنة، وكانت حواء تحث آدم على الأكل من الشجرة، فقد مالت شهوة نفسها للأكل من الشجرة، وحسنت ذلك لآدم، فخانته بهذا الإلحاح والتزيين، والشيطان يوسوس ويزين.

وعرضت الأمانة، قيل لآدم أتأخذها بما فيها، فإن أطعت

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١/ ٥١٣)٧١٠من كلام ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما.

غفرت، وإن عصيت حذرتك؟ قال: قبلت. قال: فما كان إلا كما بين صلاة العصر إلى أن غربت الشمس حتى أصاب الذنب (١).

فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهيا عن الأكل منها، وأطاعا أمر إبليس، وخالفا أمر ربهما، فانكشفت لهما عوراتهما، وكانت مستورة عن أعينهما.

فأقبلا يشدان عليهما من ورق الجنة ليسترا عوارتهما.

فقال الله عز و جل له: يا آدم ما حملك على ما صنعت قال: فاعتل آدم فقال آدم: رب زينته لي حواء قال: فإني أعاقبها أن لا تحمل إلا كرهًا ولا تضع إلا كرهًا، ودميتها في الشهر مرتين، فرنت عند ذلك حواء قال: فقيل عليك الرنة وعلى بناتك (٢).

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قال: أي رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى. قال: أي رب، ألم تنفخ في من روحك؟ قال: بلى.

---

(١) المستدرك (٢/ ٤٢٢) ٣٥٨٠ و تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٩/ ١٩٨) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو صحيح.

(٢) شعب الإيمان (٥/ ٦٤) ٥٧٩٠ وتفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٠/ ١١٥)عن ابن عباس وهو صحيح والرنة الصيحة الحزينة.

قال: أي رب، ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى. قال: أي رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى. قال: أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: بلى. قال: فهو قوله ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾(١).

قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾(٢)(٣).

نزول آدم إلى الأرض:

فلما قبل الله تعالى توبة آدم ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾(٤)، وذلك يوم الجمعة.

ولما أخرج آدم من الجنة، زود من ثمار الجنة، وعلمه الله صنعة

---

(١) المستدرك (٢/ ٥٤٥) ٤٠٠٢ و تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١/ ٥٨١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو صحيح.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١/ ٥٨٢)عن الحسن.

(٤) سورة طه، الآية: ١٢٣.

كل شيء، فثمارنا هذه من ثمار الجنة، غير أن هذه تغير وتلك لا تغير[(١)].

نزل آدم وحواء الأرض، وسخر الله لهما في الأرض جميعًا، فعاش آدم وحواء على هذه الأرض، يوحى إليه فآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي معلم مكلم[(٢)].

وجعل الله تعالى ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ تتناسل بسبب التزاوج بين الذكر والأنثى.

وكان آدم يزوج ذكر هذا البطن بأنثى هذا البطن، وأنثى هذا البطن بذكر هذا البطن[(٣)].

وكان لآدم أربعة أولاد تؤام، ذكر وأنثى من بطن، وذكر وأنثى من بطن، فكانت أخت صاحب الحرث وضيئةً، وكانت أخت صاحب الغنم قبيحة، فقال صاحب الحرث: أنا أحق بها، وقال

(١) مسند البزار (٨/ ٤٥) ٣٠٢٩ وتفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١/ ٤١٨) عن أبي موسى عن النبي صلى الله علبه وسلم وهو صحيح.
(٢) صحيح ابن حبان (١٤/ ٦٩) ٦١٩٠ وهو صحيح عن أبي أمامة عن النبي ﷺ.
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٣٣) عن ابن عباس.

صاحب الغنم: أنا أحق بها. فقال صاحب الغنم: ويحك! أتريد أن تستأثر بوضاءتها عليَّ؟ تعال حتى نقرب قربانًا، فإن تقبل قربانك كنت أحق بها، وإن تقبل قرباني كنت أحق بها، قال: فقربا قربانهما، فجاء صاحب الغنم بكبش أعين أقرن أبيض، وجاء صاحب الحرث بصبرةٍ من طعامه، فقبل الكبش

فخزنه الله في الجنة أربعين خريفًا، وهو الكبش الذي ذبحه إبراهيم، ﷺ، فقال صاحب الحرث: لأقتلنك. فقال صاحب الغنم: لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك؛ إلى قوله: وذلك جزاء الظالمين. فقتله فولد آدم كلهم من ذلك الكافر [1]. وبقي آدم عَلَيهِ السَّلَامُ يتناسل أولاده .

وفاة آدم عَلَيهِ السَّلَامُ:

لما قضي عمر آدم جاءه ملك الموت فقال أولم يبق من عمري أربعون سنة قال أولم تعطها ابنك داود قال فجحد آدم فجحدت

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٣٢) وتاريخ دمشق (٦٤/ ٤) عن ابن عباس وهو صحيح.

ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته [(١)].

ولما حضر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ الموت قال لبنيه: «أي بني إني أشتهي من ثمار الجنة، فذهبوا يطلبون له، فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه، ومعهم الفؤوس والمساحي والمكاتل، فقالوا لهم: يا بني آدم، ما تريدون وما تطلبون، أو ما تريدون وأين تذهبون؟، قالوا: أبونا مريض فاشتهى من ثمار الجنة، قالوا لهم: ارجعوا فقد قضي قضاء أبيكم. فجاءوا، فلما رأتهم حواء عرفتهم، فلاذت بآدم، فقال: إليك عني فإني إنما أوتيت من قبلك، خلي بيني وبين ملائكة ربي تبارك وتعالى. فقبضوه، وغسلوه وكفنوه وحنطوه، وحفروا له وألحدوا له، وصلوا عليه، ثم دخلوا قبره فوضعوه في قبره ووضعوا عليه اللبن، ثم خرجوا من القبر، ثم حثوا عليه التراب، ، ثم قالوا: يا بني آدم هذه سنتكم» [(٢)].

وقد توفي يوم الجمعة.

---

(١) سنن الترمذي ٣٠٧٦ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وهو صحيح.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٣٥/ ١٦٣)٢١٢٤٠ والطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٣٣) وتاريخ دمشق (٧/ ٤٥٦) وهو صحيح عن أبي بن كعب وله حكم الرفع.

آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في البرزخ

قد رآه النبي ﷺ ليلة المعراج في السماء الدنيا، قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال للنبي ﷺ مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح فقال النبي ﷺ من هذا؟ قال هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى[(١)].

آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في يوم القيامة

في يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس فيقول بعض الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس أبوكم آدم فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه

---

(١) صحيح البخاري ٣٤٩ عن أنس عن النبي ﷺ.

وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فيقول ربي غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري [١].

ويجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة. فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله [٢].

وفي يوم القيامة يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول أخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير [٣].

وفي يوم القيامة يقول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة فأراه الله آدم فقال أنت أبونا آدم؟ فقال له

---

(١) صحيح البخاري ٣٣٤٠ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ.

(٢) صحيح مسلم ٥٠٣ عن أبى هريرة وحذيفة عن رسول الله -ﷺ.

(٣) صحيح البخاري٣٣٤٨ عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ.

آدم نعم قال أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك؟ قال نعم قال فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ قال له آدم ومن أنت؟ قال أنا موسى قال أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء الحجاب لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه؟ قال نعم قال أفما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق؟ قال نعم قال فبم تلومني في شيء سبق من الله تعالى فيه القضاء قبلي؟ " فحج آدم موسى فحج آدم موسى "(١).

***

(١) سنن أبي داود ٤٧٠٢ عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ وهو حديث حسن والمحاجة يوم القيامة.

إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ

كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون على التوحيد، وقد نبيء في تلك الفترة إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو أول نبي بعث إلى أهل الأرض، من بعد آدم، وهو من ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو من أجداد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهذه النبوة لسياسة الخلق وهدايتهم إلى الحق وثباتهم على التوحيد، والتزامهم بتعاليم الدين، وليكون حجة عليهم من ربهم، وكانت نبوة إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ، والناس على التوحيد.

وإدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أول من خط بالقلم، وكان إدريس خياطًا[1] يأكل من عمل يده، وهو أول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود.

وهكذا الأنبياء يعملون بأيديهم وليسوا عالة على أحد من الناس، وإنما بعثوا لا يطلبون أجرًا ولا جاهًا ولا مكانة، وإنما للإصلاح، وسياسية الناس يبشرونهم بالتوحيد وينذرونهم من الشرك.

---

(١) تاريخ دمشق (٧/ ٤٤٣) عن ابن عباس.

وكان إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلم الناس ويدرسهم ولذلك سُمي إدريسًا، وكان يخط في الأرض، وكان خطه معجزة له، وعَلَمًا لنبوته، فيعرف المغيبات بوحي الله تعالى إليه.

وقد رفعه الله بشرف النبوة، والزلفى عند الله، فكان علوه بالنبوة، والمكانة عند الله تعالى.

وكان صادق القول والفعل، فجمع بين الصديقية والنبوة، وكان يسير في قومه بالعدل والصدق، وكان كثير العبادة والتبتل في العبادة.

وقد توفي إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ ودفن في الأرض ورفعت روحه إلى الجنة.

وكان شرف إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ بالصدق الذي تميز به بين قومه، وبالنبوة بعد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانت أعمارهم طويلة، وخلقتهم كما وصف آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى تناقص العمر والخلق بعد ذلك.

ووصفه الله بالصبر، وصبره كان على تتبع الحكمة والعلوم وما لقي في رحلاته من المتاعب. وكان يترك الطعام والنوم مدة طويلة

لتصفو نفسه للاهتداء إلى الحكمة والعلم [١].

ووصف بالصلاح وكتب الله له الرحمة بصلاحه وتقواه لربه.

وقد رأى النبي ﷺ إدريس في السماء الرابعة ليلة المعراج فقال له مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح [٢].

***

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٩٤).

(٢) صحيح البخاري٣٤٩ عن أنس عن النبي ﷺ.

نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ

كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق، وكان فيهم العباد والصالحون، وكان من أشهرهم ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر فلما ماتوا، أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، وقال أتباعهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم، ففعلوا، فلم تعبد، وكانوا يجتهدون في العبادة إذا رأوا صورهم حتى إذا هلك أولئك، ونسخ العلم، وأوحى إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم.

ونشأ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بينهم، وهم على تلك الحالة من الشرك، فبعث الله نوحًا إلى قومه وكان أول رسول لأهل الأرض.

فأمر الله نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أن ينذر قومه بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنابوا رفع عنهم؛ وأمره أن ينذرهم من الشرك الذي يدخلهم النار. فدعاهم إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له،

وأن لا يعبدوا معه صنمًا، ولا تمثالا، ولا طاغوتًا، وأن يعترفوا بوحدانية الله، وأنه لا إله غيره، ولا رب سواه.

وقد سلك نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ جميع وسائل الدعوة وأساليبها لدعوتهم إلى الحق.

فدعاهم إلى الله في الليل والنهار، والسر والعلن، وفي مجامعهم، وفي بيوتهم، وفي اجتماعاتهم، وفي خلواتهم، وبالترغيب بأن يعطيهم الله الجنات والأنهار ويمدهم بالأموال والأولاد إن هم وحدوا الله تعالى واستغفروه من الشرك.

وبالترهيب بأن خاف عليهم العذاب الأليم إن بقوا على الشرك،

وسلك بهم طرق الاقناع بأن يعبدوا الله ويعظموه بالتوحيد الذي خلقهم وأوجدهم من العدم ورزقهم، وخلق السماوات السبع فوقها فوق بعض، وجعل فيها الشمس سراجًا يضيء لهم نهارهم، والقمر نورًا في ليلهم، وبسط الأرض ومهدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات ليستقروا عليها ويسلكوا فيها، أين شاءوا، من نواحيها وأرجائها وأقطارها، كل ذلك لينبههم نوح

عَلَيْهِ السَّلَامُ على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرزاق، جعل السماء بناء، والأرض مهادًا، وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد؛ لأنه لا نظير له، ولا ند ولا كفء، ولا صاحبة ولا ولد، بل هو العلي الكبير.

فلم ينجح فيهم، ولم يهتدوا بل كتبت عليهم الشقاوة، واستمر أكثرهم على الضلالة والطغيان، وعبادة الأصنام والأوثان، ونصبوا له العداوة في كل وقت، وتنقصوه وتنقصوا من آمن به. وتوعدوهم بالرجم والإخراج، ونالوا منهم، وبالغوا في أمرهم.

ورموه بالجنون وزجروه، وطلبوا منه أن يأتي بالعذاب الذي يتوعدهم به

وقالوا ما يريد بدعوى النبوة، إلا يترفع عليكم ويتعاظم فهو بشر مثلنا. فكيف أوحي إليه دوننا؟، لو أراد أن يبعث نبيًا، لبعث ملكًا من عنده ولم يكن بشرًا !، فما سمعنا ببعثة البشر في أسلافهم

وأجدادهم والأمم الماضية. ولكن اصبروا عليه حتى يموت ويهلك.

وواصلوا استكبارهم وعتوهم وإصرارهم على الوثنية، وتطاول الزمن، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، ولم يؤمن به إلا القليل منهم.

وكانت طبيعتهم تأبى الإيمان واتباع الحق، فقد كتب الله عليهم الضلالة، وهددوا نوحًا بإخراجه وقتله، وقالوا لقد أكثرت مجادلتنا فيما تدعونا إليه، فقال لهم نوح متحديًا لهم إن كان عظم عليكم، إقامتي بين أظهركم، ودعوتي لكم إلى التوحيد، وإرشادكم بحجج الله وبراهينه، فإني لا أبالي ولا أكف عنكم، سواء عَظُم عليكم أو لا!

فاجتمعوا أنتم وشركاؤكم الذين تدعون من دون الله، من الأصنام والأوثان، ولا تجعلوا أمركم عليكم ملتبسًا، بل افصلوا حالكم معي، فإن كنتم تزعمون أنكم محقون، فاقضوا إليَّ، ولا تؤخروني ساعة واحدة، فإني لا أبالي بكم، ولا أخاف منكم، لأنكم

لستم على شيء، فقد توكلت على الله تعالى نعم الوكيل ونعم الولي والنصير.

لقد كان نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يحمل لهم النصيحة والشفقة والرحمة فلم ينتفعوا بنصيحته، ولم يستجيبوا لدعوته، فلم يسألهم مالًا، ولا أجرًا، ولكنهم كرهوا الحق الذي جاء به، حتى أنه حذرهم من فتنة المسيح الدجال (١).

وفي يوم القيامة يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى هل بلغت فيقول نعم أي رب فيقول لأمته هل بلغكم فيقولون لا ما جاءنا من نبي فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد ﷺ وأمته فيُشهد له أنه قد بلغ (٢).

وأوحى الله تعالى إلى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن، فلا يسوؤك ما جرى فإن نصر الله قادم.

فلما يئس نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ من صلاحهم، وإيمانهم، ورأى أنهم لا خير فيهم، دعا عليهم دعوة غضب لله فلبى الله دعوته وأجاب

---

(١) صحيح البخاري ٣٠٥٧ عن ابن عمر عن النبي ﷺ.

(٢) صحيح البخاري ٣٣٣٩- عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ.

دعاءه، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾[2]فاستجاب الله تعالى له دعوته ونجاه مما هو فيه من الكرب العظيم، فقد كان قومه متمادين في الظلم والطغيان.

صناعة السفينة:

لما استجاب الله لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قومه، أمره أن يغرس شجرًا ليعمل منه السفينة فغرسه، وانتظره مائة سنة، ثم نجره في أربعين سنة. وكان من خشب الساج ، وأمره أن يجعل طولها ثمانين ذراعًا، وعرضها خمسين ذراعًا، وأن يطلى ظاهرها وباطنها بالقار.

وكان نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في صناعة السفينة على الأرض موقنًا بنصر الله وممتثلا أمره، ومصدقًا بوعده، فمضى يصنع السفينة مع سخرية قومه منه، فهم يسخرون لأنهم لا يرون إلا ظاهر الأمر، كيف

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ١١٧، ١١٨.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٢٦.

يصنع سفينة على الأرض، ولا يعلمون ما وراءه من وحي وأمر.

وأما نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فهو واثق عالم، فيرد عليهم في اعتزاز وثقة وطمأنينة واستعلاء، أنه يسخر منهم كما سخروا منه.

وانتهى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ من صنع السفينة كما أمره الله تعالى، فقد كان يأتيه الأمر من ربه في صنع السفينة بتفاصيلها الدقيقة، فقد علمه ربه كيف يصنعها.

بدء الطوفان ونزول العذاب بالغرق:

أمر الله عبده ونبيه نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذا جاء أمره، وحل بأسه، وذلك بنزول المطر ونبع الأرض، أن يحمل في هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر ما فيه روح من المأكولات، وغيرها لبقاء نسلها، وأن يحمل معه أهله إلا من سبق عليه القول منهم وهي زوجته، فقد كانت على دين قومها، وأما أولاده; فهم حام، وسام، ويافث، وزوجاتهم، ومعهم زوجه ابنه يام الذي غرق، وأُمر أن يحمل من قد آمن به وهم قليل، وكانوا ثمانين نفسًا معهم نساؤهم، فحملوا بالسفينة المملوءة بالأمتعة والأزواج من الحيوانات والنباتات.

وأمُر بعد الدخول في السفينة بحمد الله تعالى الذي نجا هم من القوم الظالمين، وأُمر بالتسمية و الدعاء في ابتداء الأمور أن يكون على الخير والبركة، وأن تكون عاقبته حميدة،

وأرسل الله من السماء مطرًا كأفواه القرب، ففتحت أبواب السماء بماء منهمر، من المجرة وهو شرج السماء [(١)].

وأمر الله الأرض فنبعت من جميع فجاجها وأرجائها، فالتقى ماء السماء، وماء الأرض، وصار الماء فوق الجبال.

ونادى نوح ابنه يام، دعاه أبوه ليركب السفينة، معهم ولا يغرق مثل ما يغرق الكافرون، ولكن الابن ظن أن الجبل سيحفظه من الغرق، ولكن الأب الملهوف على ابنه أخبره أنه لن ينجو أحد مما كتبه الله على الكافرين من الغرق، فلن ينجو إلا من كتبت له الرحمة، ونوح يخاطب الابن بشفقة وحرقة، والابن يصارع الأمواج، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين.

مشهد شديد على النفس أن ترى ابنك وفلذة كبدك يعصي أمرك، ويحل عليه العذاب، ويغرق أمامك.

---

(١) الأدب المفرد (ص: ٢٦٨) عن علي وابن عباس رضي الله عنهم وهو صحيح.

فلما غرق أهل الأرض إلا أصحاب السفينة، أمر الله الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها، وأمر السماء أن تقلع عن المطر، ونقص الماء واستوت السفينة على جبل الجودي وهو بالعراق.

فكان هذا الحوار، نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو ربه، ويسأله سؤال استعلام وكشف، عن حال ولده الذي غرق، وقد وعده ربه بنجاة أهله، ووعد الله حق لا يخلف، فأتاه الجواب أن الله وعده بنجاة من آمن من أهله؛ وهذا الولد ليس من أهله لأنه من أهل الكفر.

وأمر الله تعالى نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، بالحمد والشكر، وقد كتبت السلامة له، ولمن من معه من المؤمنين، وعلى كل مؤمن من ذريته إلى يوم القيامة، ولم يبق من الكافرين على وجه الأرض منهم أحد.

وتقرب نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ عز وجل بالذبح، قربانًا إلى الله عز وجل، وعهد الله إليه أن لا يعيد الطوفان على أهل الأرض، وجعل تذكار الميثاق إليه القوس الذي في الغمام، وهو قوس قزح الذي هو أمان لأهل الأرض من الغرق [1].

---

(١) الأدب المفرد (ص: ٢٦٩) ٧٦٧ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو صحيح.

وأبقى الله السفينة على الجودي في أرض الجزيرة عبرة وآية، حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة نظرًا، وكم من سفينة بعدها فصارت رمادًا "(١).

وكل البشر بعد الطوفان من ذرية نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وذرية من حُمل معه في السفينة.

وقد بقي نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة.

وكان نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يكثر الشكر لله تعالى وقد سماه الله تعالى عبدًا شكورًا، فكان يحمد الله على طعامه، وشرابه، ولباسه، وشأنه كله، ويعمل بجميع الطاعات القلبية والقولية والعملية.

وصية نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لابنه عند دنو أجله

لما حضرت نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية: آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع، والأرضين السبع، لو وضعت في كفة، ووضعت

---

(١) علقه البخاري في الصحيح (ص: ٢٥٠٦) وقال ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٤٥٦) وصله عبد الرزاق عن معمر عن قتادة وهو في تفسير الصنعاني (٣/ ٢٥٨) و تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٣٧) وهو صحيح.

لا إله إلا الله في كفة، رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع، والأرضين السبع، كن حلقة مبهمة، قصمتهن لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكبر (١).

لقد أوصاه بالتوحيد وبكلمة الاخلاص التي هي النجاة.

ومات نوح عَلَيهِ السَّلَامُ بعد ما أقرَّ الله عينه بنصرته له، وإهلاك المشركين وبقاء الموحدين.

***

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١١/ ١٥٠) ٦٥٨٣ و الأدب المفرد (ص: ١٩٢) ٥٤٨ عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ وهو صحيح.

هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

عاد أمة عظيمة من العرب العاربة البائدة، وكانوا عشر قبائل، وكانت منازل عاد ببلاد العرب بالشِحر من أرض اليمن وحضرموت وعمان وتُسمى الأحقاف، وهي الرمال التي بين حضرموت وعمان.

وهم من ذرية من حمل مع نوح في السفينة، وهم من خلفاء قوم نوح، فهم أول أمة قامت فيها الحضارة بعد الطوفان، وكان بنو نوح قد تكاثروا وانتشروا في الأرض، وكانوا أممًا كثيرة، وكانت عاد أعظم تلك الأمم وأصحاب السيادة على سائر الأمم، وقد وهبهم الله تعالى القوة

وقد بلغوا مبلغًا عظيمًا من البأس الشديد، وعظم السلطان والتغلب على البلاد، حتى قالوا من أشد منا قوة، فطال عليهم الأمد، وتفننوا في إرضاء أنفسهم بما يغضب الله، وأقبلوا على الملذات واشتد غرورهم بأنفسهم، حتى عبدوا الأصنام.

ومن بأس عاد أنهم بنوا في طرق أسفارهم أعلامًا ومنارات تدل

على الطريق حتى لا يضلوا الطريق في تلك الرمال واحتفروا وشيدوا مصانع للمياه، تجمع ماء المطر في الشتاء ليشرب منها المسافرون وينتفع بها الحاضرون في زمن قلة الأمطار، وبنوا حصونًا وقصورًا على أشراف من الأرض، فاغتروا بما هم به من النعيم والقوة، وعصوا ربهم.

وكان هود عَلَيْهِ السَّلَامُ بينهم يعيش معهم، وكان من أوسطهم نسبًا، وأشرفهم قدرًا، فبعثه الله بالنذراة من الشرك والبشارة بالتوحيد فدعاهم إلى الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له، ولكنهم تعجبوا أن يبعث إليهم بشر مثلهم، فجحدوا آيات الله وكذبوا هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، واتبعوا أمر جبابرتهم، وطغاتهم في رد الحق والكفر بما جاء به هود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لقد دعاهم هود بالحكمة والكلمة الحسنة وعرّفهم نعمة الله عليهم بما هم فيه من النعم،

وكان في غاية النصح لقومه، والشفقة عليهم والحرص على هدايتهم، لا يبتغي منهم أجرًا، ولا يطلب منهم مالا، فاتهموه

بالسفه والكذب، والجنون، وقالوا ما نحن بالذين نترك عبادة أصنامنا عن مجرد قولك بلا دليل أقمته، ولا برهان نصبته، وما نظن إلا أنك مجنون فيما تزعمه وقالوا ائتا بما تعدنا من العذاب.

وقد وعدهم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ بسعة الأرزاق وزيادة النعم والقوة إذا وحّدوا ربهم وآمنوا برسالته

وكانوا يعبدون الأصنام التي سموها بأسماء واعتقدوا أنها زلفى إلى الله، وكانت أسماء أصنامهم، صُدًا، وصمودًا، وهِرًا، وقالوا وجدنا آباءنا على ذلك، واستغربوا كيف يدعوهم لعبادة الله وحده ويتركون عبادة الأصنام، وأعلنوا له أنهم لن يتركوا عبادة الأصنام مهما جاءهم به من الآيات والحجج والبراهين، فإن دين الأولين من الأباء، والأجداد عبادة الأصنام.

وتوعدوه بآلهتهم أن تصيبه، فتحداهم إن كنتم تزعمون أنها تنصر وتنفع وتضر، فها أنا بريء منها لاعن لها فكيدوني جميعًا، أنتم وهيَّ، بجميع ما يمكنكم أن تصلوا إليه، وتقدروا عليه، ولا تؤخروني ساعة واحدة، ولا طرفة عين فإني لا أبالي بكم، ولا أفكر فيكم، ولا أنظر إليكم إني توكلت على الله ربي وربكم.

وهذا دليل وبرهان قاطع على أن هودًا عبد الله ورسوله، وأنهم على جهل وضلال في عبادتهم غير الله ؛ لأنهم لم يصلوا إليه بسوء، ولا نالوا منه مكروهًا، فدل على صدقه فيما جاءهم به وبطلان ما هم عليه، وفساد ما ذهبوا إليه.

لقد حاول هود عَلَيْهِ السَّلَامُ دعوتهم إلى الحق فازدروه، وانتقصوه، واستهانوا به، وقالوا ما هذا إلا بشرًا مثلكم، وانغمسوا في ترفهم وضلالهم وعتوهم واستكبارهم.

وقالت عاد لهود: أجئتنا تتوعدنا بالعقاب من الله على ما نحن عليه من الدين كي نعبد الله وحده ونَدين له بالطاعة خالصًا ونهجر عبادة الآلهة والأصنام التي كان آباؤنا يعبدونها ونتبرأ منها؟ فلسنا فاعلي ذلك ولا متبعيك على ما تدعونا إليه، فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب على تركنا إخلاص التوحيد لله، وعبادتنا ما نعبد من دونه من الأوثان إن كنت من أهل الصدق على ما تقول وتعد.

فاستحقوا غضب الله وعقوبته بكفرهم وعنادهم هنالك دعا عليهم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وطلب النصر من ربه عليهم بسبب كفرهم، فاستجاب الله له وأوحى إليه أنه منزل عليهم العذاب وسيندمون

على ما فعلوا، فأمسك عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك. قال: وكان الناس إذا جهدهم أمر في ذلك الزمان فطلبوا من الله الفرج منه إنما يطلبونه بحرمه ومكان بيته.

فبعثوا وافدًا لهم، يقال له: قيل بن عتر [١]، فمر بمعاوية بن بكر، فأقام عنده شهرًا يسقيه الخمر، وتغنيه جاريتان يقال لهما: الجرادتان، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال تهامة، فنادى: اللهم إنك تعلم أني لم أجئ إلى مريض فأداويه، ولا إلى أسير فأفاديه، اللهم اسق عادًا ما كنت مسقيه، فمرت به سحابات سود فنودي منها: اختر، فأومأ إلى سحابة منها سوداء، فنودي منها: خذها رمادًا رمددًا ولا تبق من عاد أحدًا، فبعث عليهم من الريح، قدر ما يجري فيه الخاتم [٢]، وساق الله السحابة السوداء التي اختارها. قيل بن عتر بما فيها من النقمة إلى عاد حتى تخرج عليهم من واد يقال له: المغيث، فلما رأوها استبشروا، وقالوا: هذا عارض ممطرنا. فيقول تعالى: بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها. أي: كل شيء أمرت به.

---

(١) وقيل بن عنز، وقيل عير.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٢٥/ ٣٠٧)١٥٩٥٤ وهو حديث حسن عن الحارث بن يزيد الكندي.

فأهلكوا بريح الدبور[(١)] وهي ريح باردة وعاتية شديدة الهبوب تتابعت عليهم سبع ليال وثمانية أيام كوامل، أولها الجمعة فكانوا كأعجاز النخل التي لا رؤوس لها، لأن الريح تجيء إلى أحدهم فتحمله فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى جثة بلا رأس.

لقد ظنوا أن في السحاب مطرًا، فإذا هو سحاب عذاب، اعتقدوه رحمة فإذا هو نقمة رجوا فيه الخير فنالوا منه غاية الشر، لكفرهم وعنادهم وإصرارهم على الشرك.

فكان هذا العذاب عبرة وعظة للأمم بعدهم، فما أضعف الإنسان إذا اغتر بقوته وجبروته، يهلكه الله من حيث لا يحتسب ولا يتوقع، وبعد هذه العقوبة اتبعوا لعنة في الدنيا والآخرة.

ونجى الله هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن آمن معه رحمة من الله بهم، فقد اعتزل هُود، ومن معه من المؤمنين في حظيرة، ما يصيبه ومن معه من الريح إلا ما تلين عليهِ الجلود، وتَلتذُّ الأنفس، وخرج هود

---

(١) صحيح البخاري ١٠٣٥عن ابن عباس عن النبي عليه الصلاة والسلام.

عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه إلى ساحل البحر، وقد تألم على ما وصلت إليه حالة قومه من العذاب والنكال.

وعاش هود عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد قومه ومات في حضرموت ودفن فيها في كثيب أحمر، فيه الأراك والسدر[1].

***

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٠/ ٢٦٨) عن علي رضي الله عنه.

صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

ثمود أمة عظيمة من العرب البائدة، وثمود اسم جد سميت به القبيلة، ومساكنهم بالحجر بين الحجاز والشام، وهو المكان المسمى الآن مدائن صالح ويسمي حجر ثمود.

وثمود أمة قامت بعد عاد فنمت وعظمت واتسعت حضارتها، وكانوا على التوحيد، فقد اتعظوا بما حل بعاد، فلما طالت مدتهم، ونعم عيشهم، وكانوا ينحتون من جبال الأرض بيوتًا ويبنون في الأرض قصورًا، وكانوا عارفين حاذقين بنحت البيوت من الجبال بحيث تصير بالنحت كأنها مبنية. وكانت أرضهم عامرة بالبناء، والغرس، والزرع، فكانوا في جنات وبساتين من النخيل والأعناب، فاغتروا بنعمة الله عليهم، فعتوا واستكبروا، ونسوا نعمة الله فعبدوا الأصنام.

وكان صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منهم، قد آتاه الخلق الحسن والأمانة والصلاح، والاستقامة على التوحيد، فأرسل الله إليهم صالحًا رسول يدعوهم إلى التوحيد، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له

الخالق الرازق، فهو سبحانه الذي ابتدأ خلقكم من الأرض بخلق أبيكم آدم، وجعلكم في الأرض عمارًا تعمرونها وتستغلون خيراتها، فلما أتاهم صالح داعيًا لهم إلى الله، صار قومه من ثمود فيما دعاهم إليه فريقين يختصمون، ففريق مصدق صالحًا مؤمن به، وفريق مكذب به كافر بما جاء به.

وكانت دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لهم مبنية على التوحيد لأنه أصل الصلاح والإصلاح، ثم أعقب التوحيد بالنهي عن مظلمة كانت ظاهرة بينهم وهي خيانة المكيال والميزان، ونهاهم عن الإفساد في الأرض.

لقد حمل نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ هم الدعوة والبلاغ وواجه قومه بالدعوة إلى التوحيد، ولكنهم تعجبوا كما تعجب من قبلهم كيف يبعث الله رسولا من البشر، وقالوا لصالح كنا نرجوك في عقلك قبل أن تقول مقالتك تلك، وهي دعوتهم إلى التوحيد، فإنها تخالف ما عليه آباؤهم من الشرك، لقد كانوا يأملون فيه آمالًا دنيوية لصلاحه ولرجاحة عقله وخُلقه، فوقف منه قومه موقف اليائس منه، لأنه دعاهم إلى عبادة الله وحده.

فشككوا في رسالته، وافترق قومه، فريق صدقوه وآمنوا برسالته، وقوم كذبوه، واتهموه في عقله، وهموا بقتله، وكان طغاتهم التسعة يدعون قومهم إلى الضلالة والكفر وتكذيب صالح.

فتحالفوا وتبايعوا على قتل نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، من لقيه منهم ليلا يغتاله، فكادهم الله، وجعل الدائرة عليهم.

وطالبوا صالحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، بمعجزة تظهر صدقه في دعوته، واقترحوا عليه أن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم، وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر، يقال لها: الكاتبة، فطلبوا منه، أن يخرج لهم منها ناقة عُشَراء تمخض، فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الله إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه؟ فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم، قام صالح، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إلى صلاته ودعا الله، عز وجل، فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنينها بين جنبيها، كما سألوا، فعند ذلك آمن رئيس القوم وهو: "جندع بن عمرو" ومن

كان معه على أمره، وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا فصدهم "ذؤاب بن عمرو بن لبيد.

فأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة، تشرب ماء بئرها يومًا، وتدعه لهم يومًا، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها، يحتلبونها فيملئون ما شاءوا من أوعيتهم وأوانيهم، وكانت تسرح في بعض تلك الأودية، تَرِدُ من طريق وتَصدُر من غيره ليسعها؛ لأنها كانت -خلقًا هائلا.

فلما طال عليهم واشتد تكذيبهم لصالح النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ عزموا على قتلها، ليستأثروا بالماء كل يوم، فيقال: إنهم اتفقوا كلهم على قتلها

وكان أشقى القوم قُدار بن سالف الذي قتل الناقة طاف عليهم كلهم، فعلم منهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في خدورهن، وعلى الصبيان، فذهب ونحر الناقة بسيفه.

فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة، بلغ الخبر صالحًا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فجاءهم وهم مجتمعون، فلما رأى الناقة بكى وقال تمتعوا

في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب، وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء.

وأصبحت ثمود يوم الخميس، وهو اليوم الأول من أيام الانتظار، ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح، عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل، وهو يوم الجمعة، ووجوههم محمرة، وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت، ووجوههم مسودة، فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه، عياذًا بالله من ذلك، لا يدرون ماذا يفعل بهم، ولا كيف يأتيهم العذاب؟ و قد أشرقت الشمس، جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة فأصبحوا في دارهم صرعى لا أرواح فيهم، ولم يفلت منهم أحد، لا صغير ولا كبير، لا ذكر ولا أنثى، ولم يبق من ذرية ثمود أحد، سوى صالح، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن اتبعه، رضي الله عنهم إلا أن رجلا يقال له: "أبو رغال"، كان لما وقعت النقمة بقومه مقيمًا في الحرم، فلم يصبه شيء، فلما خرج في بعض الأيام إلى الحل، جاءه حجر من السماء فقتله.

فلما رأى صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ما حل في قومه من العذاب والنكال تولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين.

وهو تقريع من صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه، لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه، وتمردهم على الله، وإبائهم عن قبول الحق، وإعراضهم عن الهدى إلى العمى.

فكأنهم لم يعيشوا في هذه الأرض ولم يتجبروا ويتكبروا على الحق، لقد انتهت ثمود كما انتهت الأمم المكذبة قبلها، وبقيت بيوتهم خاوية ليس فيها حياة علامة على كفرهم وما حلَّ بهم من العقوبة، عبرة للأجيال.

كأن لم يقيموا ويتمتعوا.. إنها العقوبة التي حلت بهم، ما بين الحياة والموت إلا كلمح البصر، كانوا في نعيم وحياة هادئة مستقرة آمنة مطمئنة، ولكنه الكفر والتكذيب والإصرار والعناد، والشرك بالله.

لقد حلَّ العذاب، واتبعوا اللعنة، وانطوت صفحة حياتهم.

لقد جاءهم صالح ليردهم إلى الإسلام، وإلى التوحيد فواجهوا الآية الخارقة التي طلبوها، بالجحود وعقروا الناقة، فحلَّ بهم ما وعدوا به من العذاب.

لقد كانت حياتهم الدنيوية سعيدة، ولكنها لم تكن رشيدة، لقد تنعموا بالنعم الظاهرة، وقلوبهم بالشرك عامرة، فلم يستجيبوا لنصح نبيهم، ولم يقبلوا هدى الله الذي أتى به.

وعاش صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومن معه من المؤمنين، في أرض بعيدة عن أرض العذاب، إلى أن توفي ودفن.

***

الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

لقد عاش الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منذ نعومة أظافره، على الفطرة المستقيمة التي جعلته ينفر مما كان يصنعه أبوه وقومه من عبادة الأصنام، وكرهت نفسه الوثنية، حتى أنكر على والده ما يصنع من عبادة الأصنام، والكواكب، وكانوا في أرض بابل في العراق.

وقد كان المجتمع الذي يعيش فيه إبراهيم مجتمعًا وثنيًا، فوهبه الله سبحانه الرشد في سن مبكرة، في فتوته، وبداية شبابه، وألهمه الله تعالى الحجة وحسن البيان والمقال، فدعا والده دعاء المحب والابن الشفيق الرفيق بأبيه، فكان الحوار مع أبيه مليء بالأدب والرقة والشفقة، كيف ينقاد الأب لعبادة ما يأمره به الشيطان من الأصنام التي لا تغني شيئًا، ولا تسمع ولا تبصر، و لا تضر، ولا تنفع، بل هي سبب لعذاب الله وغضبه وعقوبته.

لكن هذه المحاورة لم تزد الأب إلا عنادًا وضلالًا، واستكبارًا على الحق، وعلم الابن المشفق أن أباه مصرٌ على الشرك.

وبقي إبراهيم كارهًا ما عليه قومه من عبادة الأصنام حتى اختاره الله للرسالة والنذارة من الشرك.

فدعا قومه لعبادة الله وحده لا شريك له، وأنكر عليهم عبادة الأصنام بالسجود لها واعتقاد الألوهية فيها، ، فقال لأبيه وقومه أي شيء تعبدون، قالوا نعبد أصنامًا نقيم على عبادتها، قال هل يسمعون دعاءكم إذ دعوتموهم أو ينفعونكم بالرزق؟، أو يضرونكم إن تركتم عبادتها؟، فاعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئًا من ذلك، وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون، فقد وجدوا آباءهم يعبدونها، فبيّن لهم ضلال آبائهم، وبيّن لهم التوحيد وهو عبادة الله وحده لا شريك له، الذي خلقهم وأوجدهم، ورزقهم، وأظهر لهم أنه كاره لأصنامهم.

وناظر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أباه وقومه في الكواكب التي يصرفون لها العبادة، فأري إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ملكوت السموات والأرض وما فيها مما يزيد الإيمان من آيات الله العظيمة التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى، واستحقاقه للعبادة

فلما أظلم عليه الليل رأى كوكبًا مضيئًا، قال هذا ربي مناظرًا لهم، فهل يستحق هذا الربوبية؟، فلما غاب الكوكب قال: هل

يستحق العبادة من يغيب ويختفي؟!! فإن الإله المعبود يكون قائمًا بمصالح العباد، فمن أين يستحق العبادة، وإن اتخاذه إلهًا من أسفه السفه.

فلما رأى القمر طالعًا، قال هذا ربي مناظرًا لهم، فهل يستحق هذا الربوبية؟.

فلما غاب القمر قال هل يستحق العبادة من يغيب ويختفي؟!! فإن الإله المعبود يكون قائمًا بمصالح العباد، فمن أين يستحق العبادة؟!! ودعا ربه بسؤال الهداية من ربه، وعلم أنه إن لم يهده الله فلا هادي له.

فلما رأى الشمس شارقة، وهي أكبر من الكوكب ومن القمر، قال هذا ربي مناظرًا لهم، فهل يستحق هذا الربوبية؟ فلما غابت الشمس قال هل يستحق العبادة من يغيب ويختفي؟!! فإن الإله المعبود يكون قائمًا بمصالح العباد، فقرر باليقين أن المستحق للعبادة هو الله وحده لا شريك له، وتبرأ من كل ما يعبد من دون الله.

وأعلن التوحيد وتوجه بقلبه لله وحده، مقبلًا عليه، معرضًا عن من سواه، وتبرأ من الشرك، وأقر بالتوحيد، ولما قرر شرك

قومه وحاجهم، حاجوه على توحيده، فكيف يحاجون من هداه الله، ووصل إلى أعلى درجات التوحيد، وقد بصّره ربه وهداه إلى الحق، فكيف يلتفت إلى أقوالهم الفاسدة وشبههم الباطلة، وهذه الآلهة التي يعبدونها لا تؤثر شيئًا، ولا تنفع ولا تضر، ولا يخاف منها، إلا إن شاء الله، فالنفع والضر بيد الله، وقد أحاط علمه بجميع الأشياء، فلا تخفى عليه خافية، فهل يعتبرون أن هذه الآلهة باطلة، فيتركوا عبادتها.

ويقرر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ التوحيد بقوله: كيف أخاف من هذه الأصنام التي تعبدون من دون الله، وأنتم تشركون بالله ما ليس لكم به حجة ولا برهان، وهو القاهر القادر على كل شيء، فأي منا أحق بالأمن، الذي عَبَد من بيده الضر والنفع، أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل، أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة.

لاشك أنهم الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك، له، وانقادوا الى الله بالتوحيد ولم يشركوا به شيئًا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة، لأنهم تبرؤا من أعظم الظلم

وهو الشرك بالله، وقد أعطى الله نبيه وخليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الحجة والبرهان، حتى خصم قومه وغلبهم بالحجة، والله يرفع درجات من يشاء بالعلم والفهم والفضيلة والعقل، كما رفع درجات إبراهيم حتى اهتدى وحاجّ قومه في التوحيد بالحجة والبيان والإقناع.

لقد خصم قومه بالبرهان وتوعدهم أنه سيحطم أصنامهم ليبرهن لهم ضعف هذه الأصنام وبطلانها، فلما ذهبوا لعيد لهم، كسر الأصنام وترك كبيرها، ليبين لهم سخافة عقولهم وضلال رأيهم،

فلما رأوا أصنامهم محطمة، تفاجأوا من فعل هذا، فما يجرؤا أحد على هذا الفعل لأنهم يرون أن حق الآلهة التقديس والتكريم لا الإهانة والتكسير، فذكروا كلام إبراهيم ذلك الفتى الذي ناقشهم في أصنامهم، فأتوا به على رؤوس الأشهاد، وعلى مرأى من الناس

فسألوه أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟

لكن الإجابة كانت ساخرة، فقال: بل فعله كبيرهم هذا. فاسألوهم..

فإن هذه التماثيل لا تدري من حطمها، إن كنت أنا الذي حطمتها، أم إن هذا التمثال هو الذي حطمها! فعلموا ضلالهم وسخافة عقولهم لأن هذه الأصنام لا تنطق ولا تسمع

فكان جوابهم لإبراهيم إن هذه الأصنام لا تتكلم فكيف تريد منا أن نسألها !

فكان جوابه، أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئًا ولا يضركم؟ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون؟!

فكان جوابًا أذهلهم وأفقدهم صوابهم، وبان عجزهم، وظهر الحق، واندفع الباطل، فأرادوا الانتصار لأصنامهم، وإظهار قوتهم

فجمعوا حطبًا كثيرًا جدًا ليحرقوه، فأوقدوا نارًا عظيمة ورموه بالمنجنيق فيها، فقال إبراهيم حسبي الله ونعم الوكيل [1]، فكان أمر الله أسرع، فقال الله تعالى يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم، فلم يبق نار في الأرض إلا طفئت، ولم تحرق النار من إبراهيم سوى وثاقه.

---

(١) صحيح البخاري ٤٥٦٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وكانت الدواب تطفئ عنه النار، إلا الوزغ، فإنه كان ينفخ النار لتشتعل ولذلك أمر النبي ﷺ: بقتله [١].

وخرج إبراهيم من النار سالمًا، لم تضره النار، لأنها معية الله لعبده ورسوله عَلَيْهِ السَّلَامُ، فبطلت جميع المقاييس الأرضية فكانت النار المحرقة جنة ونعيمًا وسلامًا لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فأبطل الله كيدهم فنصر عبده، وأنجى رسوله، وخذل عدوه، وهزم الأحزاب وحده.

وبعد هذه الحادثة لم يؤمن أحد بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يكن مؤمن إلا هو وزوجته سارة.

مناظرة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ للنمرود:

كان النمرود بن كنعان ملك ظلوم غشوم وجبار من الجبابرة، ادعى الربوبية والألوهية واغتر بملكه الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها وأنكر وجود الله، فلما سمع بإبراهيم ودعوته إلى التوحيد استدعاه وطلب منه أن يثبت دليلا على وجود الله.

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٤١/ ٨٠) ٢٤٥٣٤ عن عائشة عن النبي عليه الصلاة والسلام وهو صحيح.

فقال إبراهيم لـه: إن الله يحيي ويميت فقال: أنا أحيي وأميت فدعا باثنين قد استحقا القتل فقتل أحدهما، وأطلق الآخر تمويهًا ودجلا ومكابرة، فقال لـه إبراهيم إن كنت تدعي الإحياء والإماتة، فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فأخرس الطاغية وظهر عجزه فلم يتكلم، وقامت عليه الحجة والله سبحانه وتعالى لا يوفق ولا يهدي من كفر وظلم نفسه بالشرك والكفر.

فقيل له، إن معه امرأة من أحسن الناس قال: فأرسل إليه فأتاه فدخل عليه فسأله فقال: هذه أختي فأتى إبراهيم سارة فقال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأُخذ فيبست يده، فقال ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأُخذ مثلها أو أشد فقال ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حجبته فقال إنكم لم تأتوني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان فوهبها جارية اسمها هاجر،

فأتت سارة إبراهيم وهو قائم يصلي فأومأ بيده ما الخبر؟ قالت رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره ووهبني هاجر [١].

فتبرأ إبراهيم من آلهة قومه، وأخلص العبادة لله وحده لا شريك له، الخالق الذي قدر قدرًا، وهدى الخلائق إليه، فكل يجري على ما قدر، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

وهو الخالق والرازق، بما سخر ويسر من الأسباب السماوية والأرضية، فساق المزن وأنزل الماء، وأحيا به الأرض، وأخرج به من كل الثمرات رزقًا للعباد، وأنزل الماء عذبًا زلالا؛ سقيًا للعباد، وإذا وقع الانسان في مرض فإنه لا يقدر على شفائه أحد غيره، بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه، وهو الذي يحيي ويميت، لا يقدر على ذلك أحد سواه، فإنه هو الذي يبدىء ويعيد، وهو الذي لا يقدر على غفران الذنوب في الدنيا والآخرة إلا هو، ومن يغفر الذنوب إلا الله، وهو الفعال لما يشاء، ثم سأل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يؤتيه ربه العلم، وأن يجعله مع الصالحين في الدنيا والآخرة.

---

(١) صحيح البخاري ٣٣٥٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

هجرة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لما رأى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ صدود والده، وقومه، ولم يؤمن به إلا ابن أخيه لوط، وزوجته، أراد الهجرة إلى الشام، فاختار المهاجرة من بين أظهرهم، ابتغاء إظهار الدين والتمكن من ذلك؛ فهاجر إبراهيم وزوجته ومعهم هاجر إلى أرض الشام.

لقد خرج بقلب سليم من الشرك والوثنية ملئ بالتوحيد والايمان، فبشره الله، ووعده الله تبارك وتعالى بالولد الحليم، وأن النبوة في ذريته كرامة له.

ولم يكتب الله تعالى الولد من زوجته سارة، فطالت المدة، فأشارت عليه سارة أن يتسرى هاجر، فوهبت له الجارية، فولدت الجارية إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فلما ولدت هاجر إسماعيل غارت منها سارة فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء، فاتخذت هاجر منطقًا [1] فشدت به وسطها وهربت وجرت ذيلها لتخفي أثرها على سارة، فلما اشتدت بسارة الغيرة، خرج إبراهيم بإسماعيل وأمه إلى مكة بأمر الله تعالى.

---

(١) المنطق بكسر الميم ما يشد به الوسط.

إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ينقل إسماعيل وأمه إلى مكة:

جاء إبراهيم بهاجر وابنها إسماعيل إلى مكة وهي ترضعه فوضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقًا فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال نعم قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾[1] [2].

لقد امتثل أمر ربه، لحكمة يريدها الله، في تلك الأرض.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

(٢) صحيح البخاري ٣٣٦٤ عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

ابتلاء ابراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ابتلى الله خليله عَلَيْهِ السَّلَامُ بالطهارة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد، في الرأس: السواك والاستنشاق، والمضمضة، وقص الشارب، وفرق الرأس، وفي الجسد خمسة: تقليم الأظفار، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء من الغائط، والبول، ونتف الإبط»[(١)].

فأقامهن وجاء بهن جميعًا طاعة لله تعالى.

فجعله الله للناس إمامًا وقدوة في الخير، ومن صلح من ذريته، وقد ابتلاه الله تعالى بالتوحيد فصبر وثبت وبقي عليه ووفى بعهد ربه، فكتبت له البراءة من النار، ولم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ[(٢)].

وكان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أول الناس ضيّف الضيف وأول الناس اختتن، وأول الناس قص الشارب وأول الناس رأى الشيب فقال يا رب ما هذا فقال الله تبارك وتعالى وقار يا إبراهيم فقال يا رب زدني وقارًا، وأول من قص أظافره، وأول من استحد[(٣)].

---

(١) تفسير عبد الرزاق (١/ ٢٨٩)١١٦و تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢/ ٥٠٠) عن ابن عباس في قوله تعالى: -وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات- [البقرة: ١٢٤] وصححه الحافظ في الفتح.

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢/ ٤٩٨)عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) موطأ مالك (٥/ ١٣٤٩) ٣٤٠٨ عن سعيد بن المسيب وانظر شعب الإيمان (١١/

إبراهيم يطلب اليقين من ربه:

أحب نبي الله وخليله أن يزداد إيمانه ويصل إلى اليقين فسأل ربه عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى، ولم يكن ذلك شكًا من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بقدرة الله وقد قال النبي ﷺ: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**»، فلو كان هناك شك لكنا أولى بالشك منه.

فأمره الله سبحانه وتعالى أن يأخذ أربعة من الطير ويوثقهن ويذبحهن، ثم يجعل على كل جبل منهن جزء فأخذ أربعة من الطير فذبحهن، وقطعهن ونتف ريشهن وخلط بعضهن ببعض ثم جزأهن أجزاء، وأخذ رؤوسهن بيده، ثم أمره الله أن يدعوهن فدعاهن كما أمره الله، فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش والدم إلى الدم واللحم إلى اللحم والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها إلى بعض حتى قام كل طائر على حدته، وأتينه يمشين سعيًا، وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي بيد إبراهيم فإذا قدم لـه رأس غيره يأباه، فإذا قدم إليه رأسه تركب في بقية جسده بحول الله

١٢٢)ومصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٣١٧) ٢٦٤٦٧وصحيح البخاري ٣٣٥٦.

وقوته، فسبحانه محيي الموتى العزيز الذي لا يغلب ولا يمتنع عليه شيء الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

رؤيا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

كان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده بمكة وينظر في أمرهما، وقد أمره الله أن يجعلهما في مكة، فلما كبر الغلام وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه رأى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ رؤيا تأمره أن يذبح ابنه-ورؤيا الأنبياء حق- وكان ذلك امتحانًا لإبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، فأعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله تعالى، وطاعة أبيه، فقال الابن بلغة المستسلم لأمر ربه امض لما أمرك الله من ذبحي، وسأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل، وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد.

فلما استسلما وانقادا لأمر الله، إبراهيم امتثل أمر الله، وإسماعيل طاعة لله ولأبيه، وصرعه على وجهه ليذبحه من قفاه، حتى لا يشاهد وجهه عند ذبحه؛ ليكون أهون عليه، - وعلى إسماعيل

قميص أبيض، وقال: يا أبت، إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره، فاخلعه حتى تكفنني فيه، فعالجه ليخلعه، فنودي من خلفه: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾(١) فالتفت إبراهيم، فإذا هو بكبش أبيض أقرن أعين(٢)، نزل من الجنة.

وأوحى الله إليه يا إبراهيم قد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح، وكان جزاء المحسنين أن صرف الله عنهم المكاره والشدائد، وجعل لهم من أمرهم فرجًا ومخرجًا، وكان المقصود من ذلك إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك؛ فكان اختبارًا واضحًا جليًا؛ حيث أمر بذبح ولده، فسارع إلى ذلك مستسلمًا لأمر الله، منقادًا لطاعته، وفداه الله بهذا الكبش، وكانت سنة الأضاحي، أُمر المسلمون أن يضحوا ببهيمة الأنعام، ومن رحمة الله بعباده أنه لم يأمرهم بذبح أبنائهم، فتطيب نفس المؤمن بذبح الأضاحي تقربًا لله تعالى.

---

(١) سورة الصافات، الآيتان: ١٠٤، ١٠٥.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٤/ ٤٣٧)(٢٧٠٧) وهو صحيح عن ابن عباس.

فضائل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وخصائصه.

١- اختياره خليلا، فقد اتخذه الله خليلا، والخلة أعلى درجات المحبة، وما ذاك إلا لإخلاصه لله، ولكثرة طاعته لربه، ولقيامه بجميع ما أمر به ووفى كل مقام من مقامات العبادة، فكان لا يشغله أمر جليل عن حقير، ولا كبير عن صغير، ولشدة محبة ربه، عز وجل له، لأنه قام لله من الطاعة التي يحبها ويرضاها سبحانه وتعالى.

٢- خير البرية إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن أنس بن مالك، قال: قال رجل للنبي ﷺ: يا خير البرية، قال: «**ذاك إبراهيم**»(١).

٣- جعله الله تعالى للناس إمامًا في التوحيد، وقدوة في الخير، يعلم الناس التوحيد، فملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خير الملل.

٤- جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، فلم يوجد نبي بعد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلا وهو من سلالته، فجميع أنبياء بني إسرائيل من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، حتى كان آخرهم عيسى

---

(١) صحيح مسلم ٦٢٨٧ ومسند أحمد ط الرسالة (٢٠/ ٢١١) ١٢٨٢٦.

ابن مريم، وخاتم الرسل، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، من سلالة إسماعيل بن إبراهيم، عليهم السلام.

٥- أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين يقوم الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا [١] يقول الله تعالى: اكسوا خليلي، فيؤتى بريطتين بيضاوين، فليلبسهما، ثم يقعد فيستقبل العرش [٢].

٦- نزهه الله عن كل خلق ذميم واعتقاد باطل فوصفه الله بالحلم وهي صفة تقتضي الصفح واحتمال الأذى. ووصفه بالأواه وذلك يدل عن شدة اهتمامه بهموم الناس. وذلك لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على الآخرين، وكان يتضرع إلى ربه في دعائه، ووصفه بالمنيب الذي يحاسب نفسه على ما يحذر يرجع إلى ربه ويتوب، فهو سريع الرجوع إلى ربه، فكان إذا قال: قال لله، وإذا عمل عمل لله، وإذا نوى نوى لله [٣]».

---

(١) صحيح البخاري ٤٧٤٠ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٦/ ٣٢٩)٣٧٨٧ عن ابن مسعود عن النبي ﷺ.

(٣) شعب الإيمان (٩/ ١٩٠) ٦٤٨٥ عن الحسن.

٧- جعل الله له الثناء الصادق في الدنيا والآخرة، وذلك بالثناء بالخير والتبجيل والتكريم، وقد نوه الله بفضله وبمكانته، حتى عظمه أهل الأديان كلهم وادعوه.

دعوات إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لقد دعا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه، **دعاء** ليس فيه طلب عرض من أعراض الدنيا؛ وإنما دعاء وبقاء لعمله الصالح وخوفًا على نفسه من سوء الخاتمة وعلى ذريته من بعده فسأل ربه الحكمة التي يعرف بها الحق، وسأل ربه أنه يلحقه بالصالحين، بتوفيق الله له إلى العمل الصالح، وهو إمام الحنفاء وخليل الرحمن سأل ربه هذا السؤال إنه التواضع لله رب العالمين.

وسأل ربه لسان صدق من الثناء والذكر الحسن، الذي يدل على الحنيفية السمحاء ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ودعا لمكة ولأهلها بالثمرات والأرزاق والأمن، وببعثة خاتم الأنبياء يتلو عليهم آيات الله، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم.

وسأل ربه الجنة، بتوفيقه إلى العمل الصالح، الذي يوصله إلى جنة النعيم.

ودعا بصلاح الذرية وحسن العقب، ويسأل ربه أن يعينه على إقامة الصلاة، وبنيه من بعده!

ويدعو إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ دعوة صادقة ملحة على الله بأن يجنبه عبادة الأصنام هو وبنيه، يستعينه بهذا الدعاء ويستهديه.

يدعو إبراهيم تلك الدعوة وهو يشاهد ويرى ويعلم كثرة من ضلَّ بهذه الأصنام من الناس في جيله وفي الأجيال التي قبله؛ ومن فتنوا بها.

ويختم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ دعاءه الصادق بطلب المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين جميعًا، يوم يقوم الحساب، ولما علم عدوة والده تبرأ منه، وكان قد وعده بتلك الدعوة.

إبراهيم يزور ولده إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ:

نبع ماء زمزم واستجاب الله دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ونزل قوم من جرهم على هاجر وابنها بعد إذنها لهم، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع

تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكت إليه قال فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة قال فهل أوصاك بشيء قالت نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك، قال ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله فقال ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء، قال فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء إسماعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك

فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال فأوصاك بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك [١].

إبراهيم يزور إسماعيل ويطلب منه المساعدة في بناء البيت:

جاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مكة، وإسماعيل يبري نبلًا له تحت دوحة قريبًا من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال فاصنع ما أمرك ربك قال: وتعينني قال وأعينك، قال فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتًا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء، وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٢] قال فجعلا يبنيان حتى يدورا حول

---

(١) صحيح البخاري ٣٣٦٤ عن ابن عباس.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

البيت وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1].

وأمر إبراهيم بالمناسك، فعرض له الشيطان عند المسعى فسابقه، فسبقه إبراهيم، ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة، فعرض له شيطان فرماه بسبع حصيات، حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات، حتى ساخ في الأرض، ثم ذهب به جبريل إلى الجمرة القصوى، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم ذهب به جبريل إلى منى قال: هذا منى، ثم أتى به جمعًا، فقال: هذا المشعر الحرام، ثم ذهب به إلى عرفة، فقال جبريل لإبراهيم: عرفت فسميت عرفة.

وأمر الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يؤذن في الناس بالحج، قال: وما يبلغ صوتي قيل أذن وعليَّ البلاغ فنادى ابراهيم فخفضت له الجبال رءوسها، ورفعت له القرى، فأذن في الناس بالحج [2].

---

(١) صحيح البخاري٣٣٦٤ -٣٣٦٥عن ابن عباس.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٤/ ٤٣٧)٢٧٠٧ والمستدرك (١/ ٦٣٨) ٧١٣ وهو صحيح عن ابن عباس.

فقال: يا أيها الناس إن كتب عليكم الحج الى البيت العتيق إن ربكم اتخذ بيتًا وأمركم أن تحجوه فاستجاب له ما سمعه من حجر أو شجر أو أكمة أو تراب أو شيء فقالوا: لبيك اللهم لبيك[1].

لقد سمعه من بين السماء والأرض ألا ترى أن الناس يحجون من أقصى الأرض يلبون[2].

فهذه المشاعر التي يقصدها الناس اليوم من إرث إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ[3]، تذكرنا بالخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي بنى البيت ودعا عباد الله إلى الحج وقصد البلد الحرام.

بشارة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بإسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ:

جاءت الملائكة، إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالبشرى، تبشره بإسحاق، فسلموا عليه فرد عليهم السلام فأسرع في إكرام الضيف، ظنًا منه أنهم من البشر، فلم يسألهم بل بادرهم بالضيافة فجاء بعجل مشوي على الحجارة، فلما رأى أيديهم لا تمتد إلى الطعام، أنكر

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي. (٥/ ١٧٦)١٠١١٦ عن ابن عباس.

(٢) الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٤/ ٧٩)عن ابن عباس.

(٣) سنن النسائي (٥/ ٢٥٥) ٣٠١٤ من حديث ابن مربع الأنصاري عن النبي ﷺ وهو صحيح.

تصرفهم، وخاف منهم، فأخبروه أنهم ملائكة من الله تعالى.

وامرأة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كانت حاضرة تناول إبراهيم الطعام إليهم، فبشروه بغلام، فضحكت سارة من تبشير الملائكة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بغلام عليم بالشريعة، وسيكون نبيًا من الصالحين.، وكان ضحكها ضحك تعجب واستبعاد. وكانت عجوزًا عقيمًا لم تلد ففاجأتها البشرى بإسحاق. ومن بعده يعقوب.

وزوجها إبراهيم شيخ كبير، لكن لا عجب من أمر الله. إذا أراد الله شيئًا قال له كن فيكون، ورحمة الله وبركته وفضله عمت إبراهيم وأهل بيته وذريته.

فلا يأس ولا قنوط من رحمة الله، فإن ما قضاه الله وقدره سيكون، ولو استبعده الإنسان.

نزول الصحف على إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

أنزلت صحف إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في أول ليلة من رمضان [1] وهي مواعظ وحكم وأمثالا، ومنها ماورد في القرآن كما في سورة النجم:

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٢٨/ ١٩١) ١٦٩٨٤ عن واثلة بن الأسقع، عن رسول الله ﷺ وهو صحيح.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ
سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ
ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾
وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ
ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ
أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ
كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ
﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ
﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ
وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾﴾[1].

وفي سورة الأعلى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ
تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾[2].

وكانت صحف إبراهيم عشر صحائف.

---

(١) سورة النجم، الآيات: ٣٨-٦٢.

(٢) سورة الأعلى، الآيات: ١٤-١٧.

وصية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لقد أسلم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في حياته كلها لربه جل وعلا، فعاش على التوحيد، ووصى ذريته من بعده بالتوحيد بالحياة عليه، والموت عليه، والدعوة إليه.

لقد كان إبراهيم يحمل همَّ ذريته من بعده، يخاف عليهم الشرك فيدعو لهم بالنجاة منه، ويوصيهم عند مماته بالتوحيد، ولذلك جعل الله وصيته بالتوحيد كلمة باقية في عقبه إلى يوم القيامة.

وفاة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

توفي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في فلسطين بعد حياة مليئة بالدعوة والجهاد في سبيل الله، ومات عن مائة وخمس وسبعين سنة. وقيل مائتين. ودفن في المغارة، في فلسطين، وقد أغلقت المغارة عليه [(١)].

---

(١) قال شيخ الاسلام ابن تيمية كانت البنية التي على قبر إبراهيم الخليل ﷺ مسدودة لا يدخل إليها إلى حدود المائة الرابعة، فقيل: إن بعض النسوة المتصلات بالخلفاء رأت في ذلك مناماً فنقبت لذلك. وقيل: إن النصارى لما استولوا على هذه النواحي نقبوا ذلك. ثم ترك ذلك مسجدًا بعد الفتوح المتأخرة. وكان أهل الفضل من شيوخنا لا يصلون في مجموع تلك البنية، وينهون أصحابهم عن الصلاة فيها، اتباعاً لأمر رسول الله ﷺ، واتقاء لمعصيته (اقتضاء الصراط المستقيم (١٨/ ٤١) وقال رحمه الله في منهاج السنة النبوية (١/ ٤٨٠).

لما قدم المسلمون إلى الشام غير مرة ومعهم عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان وعلي بن

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا:

كانت ملة إبراهيم الحنيفة ولم تكن اليهودية والنصرانية إلا من بعده، وقد ادعى اليهود والنصارى أن إبراهيم كان على ملتهم، فكيف يدعي اليهود، أنه كان يهوديًا، وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى، وكيف يدعي، النصارى، أنه كان نصرانيًا، وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر.

بركات إبراهيم على أمة محمد ﷺ:

١-أولى الأمم بإبراهيم أمة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[1] عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:

أبي طالب وغيرهم ثم لما قدم عمر لفتح بيت المقدس ثم لما قدم لوضع الجزية على أهل الذمة ومشارطتهم ثم لما قدم إلى سرغ ففي جميع هذه المرات لم يكن أحدهم يقصد السفر إلى قبر الخليل ولا كان هناك مشهد بل كان هناك البناء المبني على المغارة وكان مسدودًا بلا باب له مثل حجرة النبي ﷺ، ثم لم يزل الأمر هكذا في خلافة بني أمية وبني العباس إلى أن ملك النصارى تلك البلاد في أواخر المائة الخامسة فبنوا ذلك البناء واتخذوه كنيسة ونقبوا باب البناء فلهذا تجد الباب منقوبًا لا مبنيًا ثم لما استنقذ المسلمون منهم تلك الأرض اتخذها من اتخذها مسجدًا.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.

«إن لكل نبي ولاة من النبيين، وإن وليي منهم أبي وخليل ربي عز وجل». ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾[1].

٢-أمرنا باتباع ملته قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾[3].

٣- دعوته ببعثة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام فقد قال: «أنا دعوة ابي إبراهيم»[4] قال تعالى في دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾[5].

٤- حرصه على أمة محمد ودلالته لها إلى الخير

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٦/ ٣٤٨) ٣٨٠٠ و سنن الترمذي ٢٩٩٥ وهو صحيح.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦١.

(٤) مسند أحمد ط الرسالة (٢٨/ ٣٧٩) ١٧١٥٠ عن العرباض بن سارية، عن رسول الله ﷺ.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غِراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»**(١).

٥- أطفال المسلمين يكفلهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في الجنة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«ذراري المسلمين في الجنة، يكفلهم إبراهيم في الجنة»**(٢).

وفي حديث سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في رؤيا النبي ﷺ قال: فأتينا على روضة معتمة فيها من كل لون الربيع وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط قال: قلت لهما ما هذا، قالا لي الذي في الروضة إبراهيم ﷺ وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة قال فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ: **«وأولاد المشركين»**(٣).

---

(١) سنن الترمذي ٣٤٦٢ وهو حسن.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (١٤/ ٧١) ٨٣٢٤والمستدرك (٢/ ٤٠١) ٣٣٩٩وصحيح ابن حبان (١٦/ ٤٨١) ٧٤٤٦ وهو حسن.

(٣) صحيح البخاري ٧٠٤٧.

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في البرزخ وفي يوم القيامة

١- رآه النبي ﷺ ليلة المعراج في السماء السابعة قال ﷺ: «**ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال: جبريل قيل ومن معك قال: محمد قيل وقد بعث إليه؟ قال: نعم قال: مرحبًا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام قال مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح** [(١)] **وشبهه** عَلَيْهِ السَّلَامُ **بشبه نبينا محمد عليه الصلاة والسلام**» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أشبه ولد إبراهيم ﷺ به**»[(٢)].

٢- رآه النبي ﷺ في المنام وحوله أطفال المسلمين.

٣- أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرأ** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ **وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم**»[(٣)].

٤- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «**إن الله يجمع يوم**

---

(١) صحيح البخاري٣٨٨٧.
(٢) صحيح البخاري ٣٣٩٤.
(٣) صحيح البخاري ٣٣٤٩.

القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم فذكر حديث الشفاعة فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من الأرض اشفع لنا إلى ربك فيقول فذكر كذباته نفسي نفسي اذهبوا إلى موسى»[١].

٥- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار»[٢].

---

(١) صحيح البخاري ٣٣٦١ قال الحافظ زاد مسلم (التي أصاب فيستحيي ربه منها) وفير واية إني كنت كذبت ثلاث كذبات (زاد شيبان في روايته) قوله إني سقيم (وقوله فعله كبيرهم هذا، وقوله لامرأته أخبريه أني أخوك) وفي رواية أبي نضرة عن أبي سعيد (فيقول إني كذبت ثلاث كذبات، قال رسول الله ﷺ: ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله) بمعنى جادل بها عن دين الله(فتح الباري لابن حجر (١٨/ ٤١٠).

(٢) صحيح البخاري ٣٣٥٠.

والحكمة في مسخه لتنفر نفس إبراهيم منه ولئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاضة على إبراهيم [١].

٦- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة قصرًا، - أحسبه قال: من لؤلؤة - ليس فيه فصم، ولا وهيٌ، أعده الله تبارك وتعالى لخليله إبراهيم ﷺ نزلا».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة قصرًا من درة لا صدع فيها ولا وهن، أعده الله لخليله إبراهيم ﷺ نزلا» [٢].

***

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٨٧).

(٢) مسند البزار (١٥/ ٢٩٠) ٨٧٨٩ و المعجم الأوسط (٨/ ١٠٧) ٨١١٤قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٠٧ (٨/ ٢٠١)رواه الطبراني في الأوسط، والبزار بنحوه، ورجالهما رجال الصحيح.

لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ

لوط ابن أخ لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد آمن بإبراهيم وهاجر معه من العراق إلى الشام، آمن بإبراهيم وتربى على يديه، ثم خرج إلى سدوم وتزوج منهم، وكانوا خليطًا من الكنعانيين وممن نزل حولهم، وهي شرق الأردن، مكان البحر الميت اليوم.

فوهب الله لوطًا حكمًا وعلمًا، وأوحى إليه، وجعله نبيًا، وبعثه إلى سدوم ومن حولها، فدعاهم إلى الله، عز وجل، أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم الخلائق إلى فعله، من إتيان الذكران دون الإناث؛ فخالفوه وكذبوه.

وكانت دعوة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ تابعة لدعوة إبراهيم في مقاومة أهل الشرك والفساد. وإنما لم يذكر ما هم عليه قوم لوط من الشرك استغناء بذكر الفواحش الفظيعة التي كانت لهم سنة فإنها أثر من آثار الشرك.

وإن كان هذا الفعل لا يكفر به الانسان، إلا إذا استحله، فقوم لوط على ما هم عليه من الشرك، قد استحلوا الخبائث.

وقد واجهوا لوط بالتكذيب والاستهزاء، وهموا بإخراجه لأنه يدعوهم إلى الطهارة من الشرك والطهارة من الخُبث، وهم قد علموا من خلق لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهله التطهر من الشرك والتطهر من الأخلاق الرذيلة لأنهم عاشروه، ورأوا سيرته فيهم.

لكن القوم لما تمردوا على الفسوق كانوا يعدون هذه الطهارة مخالفة لطباعهم، فلا يطيقون من يدعوهم إليها، فذموا ما كان عليه لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ. وهددوه بالقتل والإخراج من ديارهم.

وقد عانى لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعوتهم إلى التوحيد، وتحمل المشاق والمصاعب لعلهم يتعظون ويعتبرون بما حلَّ بالأمم قبلهم، فما زادهم إلا إصرارًا على الباطل.

وكانوا يفعلون المنكر في منتدياتهم علنًا يبصر بعضهم بعضًا، مجاهرة بالمعصية وتفاخرًا بها واستحسانًا لها، قد فتنوا، في فعلهم، لما في قلوبهم من الجهل وضلال الرأي وضعف العقل.

فلما نهاهم نبي الله لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ عن إتيانهم الفواحش،

وغشيانهم الذكور، وأرشدهم إلى إتيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم، رأهم لا يرتدعون عما هم فيه بل هم مستمرون على ضلالتهم، تبرأ منهم فقال: إني لعملكم من المبغضين، لا أحبه ولا أرضى به؛ فأنا بريء منكم. ثم دعا الله عليهم قال: رب نجني وأهلي مما يعملون.

إنه الصدود والاستكبار في وجه الإنذار، والتحدي والتكذيب، فما بعده قبول ولا تصديق، وقد أعذر إليهم رسولهم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يترك وسيلة إلا دعاهم بها، فطلبوا من لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ الانتهاء من دعوته لهم، وطلبوا تعجيل العذاب الذي يعدهم به، إن كان من الصادقين، وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم؛ وقسوة قلوبهم، فاستنصر نبي الله لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه عليهم فقال: رب انصرني على القوم المفسدين.

لقد بلغ به الضيق والجهد، فلم يستطع أن يتحمل مايراهم عليه من الشرك والفساد وقطع الطريق والمجاهرة بالمعاصي والافتخار بها.

لقد حلت عليهم العقوبة، فلم ينفعهم النصح والاشفاق من نبيهم عَلَيْهِ السَّلَامُ، لقد ضيقوا عليه حياته بعنادهم وصدودهم، وسوء أخلاقهم، وخبث سيرتهم.

الملائكة يأتون لوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لما بعث الله الملائكة لقوم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ أقبلت تمشي في صور رجال شبان حتى نزلوا على إبراهيم فتضيفوه، كما سبق، ثم ذهبوا إلى لوط، فلما رآهم في أجمل صورة تكون، على هيئة شبان حسان الوجوه، فساءه شأنهم وضاقت نفسه بسببهم، وخشي إن لم يضيّفهم أن يضيفهم أحد من قومه، فينالهم بسوء، فكان ذلك ابتلاء من الله واختبارًا، وله الحكمة والحجة البالغة، لتقوم عليهم الحجة، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام.

سيئ لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ بأضيافه. لأنه يعلم ما ينتظرهم من قومه، ويدرك الفضيحة التي ستناله في أضيافه، فهو يعرف قومه، ويعرف ماذا سيحاولون بأضيافه هؤلاء، وهو بين قومه غريب، وهم فجرة يحبون الفواحش.

فخرجت امرأة لوط فأخبرت قومها فقالت: إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط، فجاءوا يسرعون ويهرولون في مشيتهم، وفرحوا بذلك، فمن طبيعتهم حب الفاحشة والفرح بها والافتخار بفعلها.

لقد بلغت الشدة والضيق في لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ مبلغها وتمنى القوة والسند الذي يأوي إليه وما علم أن الله تعالى معه ناصره ومؤيده، وفي حال الضعف البشري ينسى المؤمن تلك المعاني، ولوط عَلَيْهِ السَّلَامُ كان في حالة عصيبة من البلاء.

لقد استبشروا بالفاحشة، وما علموا أن نهايتهم قريبة، فلما وصلوا إلى لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ دار الحديث بينه وبينهم.

فقال لوط لقومه: إن هؤلاء الذين جئتم تريدون الفاحشة منهم ضيفي، وحق على الرجل إكرام ضيفه، فلا تفضحون أيها القوم في ضيفي، وأكرموني في ترككم التعرض لهم بالمكروه.، وخافوا الله فيَّ، وفي أنفسكم أن يحل بكم عقابه، ولا تذلوني ولا تهينوني فيهم بالتعرض لهم بالمكروه، فقالوا للوط أولم ننهك أن تضيف أحدًا من الناس.

فقال لوط لقومه: تزوجوا النساء فأتوهن، ولا تفعلوا ما قد حرم الله عليكم من إتيان الرجال، إن كنتم فاعلين ما آمركم به ومنتهين إلى أمري، وفيكم من يفهم الحق ويعمل به، وينتهي عن كل أمر محرم.

لكن القوم في سكرة الهوى قد غطى عقولهم فهم في باطلهم وشهوة فروجهم، يترددون، فلا يبصرون إلا ما أشربوا من الهوى والشهوة، وسكرة الشهوة، أعظم من سكرة الخمر، فلم يستفيقوا حتى نزل بهم العذاب، وأوله أن لطم جبريل وجوههم بجناحه ففقدوا أبصارهم فارتدوا على أدبارهم.

عند ذلك أخبرته الملائكة أنهم رسل الله إليه، وبشروه أنهم لا وصول لهم إليه ولا لضيوفه، وأن موعدهم الصبح، فالعذاب يصبحهم ويأخذهم على غِرة، وأمروه أن يسري بأهله من آخر الليل، وأن يكون في آخرهم، ولا يلتفت منهم أحد، إذا سمعوا ما نزل بهم، ولا يخافوا مما يسمعون من نزول العذاب عليهم.

فلما طلعت الشمس صاح جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بقوم لوط واقتلع أرضهم مع سبع أرضين تحتهم بيوتهم ودورهم، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم، ورفعهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم أكفأ أرضهم على وجهها، فجعل عاليها سافلها، ثم أُتبعوا حجارة من سجيل، وهي الحجارة من الطين القوي الصلب، متتابع ينزل من

السماء، قد كتب على كل حجر اسم صاحبه. وسميت ديار قوم لوط المؤتفكات لإنها قلبت بهم.

وفي هلاك قوم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ آية وعبرة للمعتبرين، وديارهم اليوم شاهدة على كفرهم، وصدودهم.

وهي علامة ودلالة بينة لمن آمن بالله على انتقامه من أهل الكفر به، وإنقاذه من عذابه، أهل الإيمان به.

فقد نجى الله لوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن آمن معه وأهلك من كفر ومنها زوجته التي كانت على عقيدة الشرك فلم ينفعها زوجها فهلكت مع الهالكين.

كانت النهاية المؤلمة والمحزنة لقوم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ وكانت العاقبة الحميدة للوط ومن معه من المؤمنين. ولحق لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ بعمه إبراهيم فكان معه حتى مات وأوصى ببناته لعمه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

***

شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ

مدين، تطلق على القبيلة، وعلى المدينة، وهم أصحاب الأيكة، وهم قبيلة من العرب، كانوا يسكنون بين الحجاز والشام، قريبًا من بلاد معان، في بلد يعرف بهم، يقال لها «مدين» وهم اليوم في شمال المملكة العربية السعودية قرب تبوك.

وكان شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ من القرية وهي الأيكة، وقد تعربوا بمجاورة الأمم العربية.

وكانوا يسعون في الأرض بالفساد، ويبغون على الناس، وينقصون المكيال والميزان، ويقطعون الطريق على الناس، مع شركهم بالله. وكان شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ من أعظمهم نسبًا ومكانة في قومه وأهله وعشيرته، وأعقلهم وأحسنهم رأيًا، وحكمة فبعثه الله نبيًا، ورسولا لينذر قومه أهل مدين، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأن يخافوا بأس الله ونقمته وسطوته وينهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان وقطع الطريق والإفساد في الأرض.

رغبهم وحذرهم، وذكرهم بنعمة الله عليهم، وما يعيشون فيه

من الخيرات والبركات، وأظهر شفقته عليهم وخوفه أن يصيبهم عذاب الله تعالى، فقد كانوا قِلة فكثرهم الله ويسر لهم أسباب التناسل، وحفظهم من أسباب الموت.

لقد أمرهم بإصلاح الاعتقاد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له وترك الشرك. فلا يفسدوا الأرض بعد إصلاحها بالتوحيد أن يشركوا بالله تعالى.

وأمرهم بصلاح الأعمال فلا يفسدوا في الأرض، ولا يقطعون الطريق، والكف عن نقص المكيال والميزان، فما يحصل لهم من الربح في البيع خير لهم من البخس في المكاييل.

و تدرج بنهيهم فنهاهم عن التطفيف. ثم ارتقى فنهاهم عن أكل أموال الناس. ثم ارتقى فنهاهم عن الإفساد في الأرض كله. وهذا من أساليب الأنبياء في التدرج في الدعوة لتهيئة النفوس بقبول الحق.

ونهاهم عن الصد عن سبيل الله، بمنع من أراد الإيمان أن يؤمن، وذلك بتخويفه وإيذائه.

ورغبهم بما ادخره الله لهم من الثواب على امتثال أمره، هو خير

لهم مما يحصلون عليه من متاع الدنيا العاجل.

وكانوا يرون ما عليه شعيب من الأخلاق الحسنة والتعبد لله تعالى، والصلاة والصدقة والعطاء، فكان بينهم ذلك الحوار المليء بالسخرية والاستهزاء والتهكم والكبر، والتعالي على الحق فقالوا: أصلاتك يا شعيب تأمرك بأن نترك ما يعبد آباؤنا.؟!! ونترك ما يفعل أباؤنا في أموالهم؟!! وأنت الذي اشتهرت بالحلم، وحسن التصرف في المال!!كل ذلك زيادة في التهكم والسخرية.

فرد عليهم نبي الله شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ أن الله تعالى بعثه بالنبوة والرسالة وقد جاءهم بالحق، فقد رزقه الله البصيرة والعلم والنبوة، ويرى ما هم عليه من الضلالة، فما وهبه الله تعالى من النبوة يحجزه أن يأمرهم بأمر فيخالفه، بل أن فعله يتبع قوله، فما أمركم به فأنا أول العاملين به وما أنهاكم عنه فأنا أول التاركين له.

وبيّن لهم أنه لم يرد الدنيا ولم يرد مخالفتهم، وإنما أراد الاصلاح لحالهم التي كانوا عليها، ودعوته لهم إنما هي بأمر الله تعالى، وهو سبحانه الموفق من شاء للهداية وقبول الحق الذي جئتكم به.

وقال لهم لا يمنعكم من قبول الحق الذي جئت به مخالفتكم لي، وعداوتكم لي، واستكباركم، فإني أخشى عليكم ما نزل على الأمم المكذبة قبلكم قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد لا في المكان ولا في الزمان.

حذرهم سلوك طريق المفسدين الذين أفسدوا أنفسهم بالشرك وبأعمال الضلالة، وأفسدوا الناس بإمدادهم بأسباب الضلالة وصدهم عن الهداية.

فعدم قبولكم للحق وإعراضكم عن دعوتي إنما وباله عليكم، فسيصيبكم كما أصيبت الأمم قبلكم، فاستغفروا الله من ذنوبكم وتوبوا إلى الله فإن الله يحب من عباده التوبة والاستغفار والرجوع إليه.

فردوا عليه متهكمين به بأننا لانفهم ما تقول، ولا نصدق به لأنه يخالف ما ألفناه وتلقيناه عن آبائنا. واتهموه بالكذب و أنه مسحور

ولولا أهلك وعشيرتك لقتلناك، وأنت ضعيف عن المدافعة عن نفسك، ولا يعجزنا قتلك ولا يشتد على نفوسنا، لأنك هين

علينا ومحقر عندنا وليس لك من ينصرك منا. ولا تستطيع أن تغلبنا.

وكل من آمن بك إنما هم من سفلة الناس وضعفائهم، فلن يستطيعوا المدافعة عنك ولا نصرتك. كل ذلك تحذير لشعيب من الاستمرار في مخالفة دينهم.

فأنكر عليهم قولهم، فقال لهم إن الله أعز من قومي وعشيرتي، فأنا معتز بالله لا بهم، فلا يخيفني أحد منكم، لأن الله ناصري عليه توكلت.

فاعملوا ما تريدون من الكيد والبطش بي، وانا مستمر في دعوتي لا يثنيني ولا يردني عنها تهديدكم ووعيدكم، فسوف تعلمون حين ينزل بكم العذاب من هو الأعز الأكرم.

وانقسم قوم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى فريقين، قوم آمنوا به واتبعوه وصدقوه، وهم الضعفاء وهم أتباع الرسل، وقوم كذبوا به وكفروا بما جاءهم به من الحق.

فأمر شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ المؤمنين بالصبر والمصابرة على الحق، فإن

الله سيحكم بين الفريقين، بنزول العذاب على المكذبين

وذلك عن ثقة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ بوعد الله له بالنصر على قومه، ولعلمه بسنة الله في رسله ومن كذبهم.

فلما رأى القوم قوة قلب شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ وثباته لجأوا للقوة والتخويف بالإخراج من بلده هو، ومن آمن معه، ولن يتراجعوا عن ذلك حتى يرجع شعيب ومن معه لملتهم ودينهم.

فرد عليهم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ بلغة الواثق بالله تعالى المؤمن بوحدانية الله تعالى، أن المؤمن لا يرجع عن دينه ولو كان ذلك بذهاب نفسه، وبيّن لهم أنهم لو رجعوا، فإن هذا تكذيب بنبوته ورسالته إليهم، وهذا مستحيل، فكيف نرجع بعد إذ هدانا الله للدين الحق الذي اتبعناه بالوحي؟!!

فقد نجانا الله من الكفر، فكيف نرجع إليه؟!!

والله سبحانه بيده قلوب العباد من يشأ يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم، فهو سبحانه هو الذي يثبت عباده على الحق.

وسأل شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه بأن يثبتهم على التوحيد، ولا يسلبهم الإيمان الحق ولا يفتن قلوبهم بالباطل، وأن يكفيهم شر من أراد

بهم الشر والفتنة، من الفتنة بالإخراج، ومن الفتنة في الدين بالإكراه على اتباع الكفر.

فلما رأوا تصميم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ على الدعوة، وانتصاره على جميع وسائلهم بالإغراء والإغواء والتهديد والوعيد، قال كبار المعاندين إن اتبعتم شعيبًا فقد خسرتم ما في أيديكم من النعيم والأموال والجاه والسلطان، وزال عزكم ومكانتكم.

وطلبوا من شعيب تهكمًا واستهزاء بأن ينزل عليهم العذاب من السماء

هناك دعا شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن يحكم الله بحكمه عليهم وينصره عليهم، فهو خير الناصرين، فيفتح لهم باب الفرج، والنصر والتمكين.

فلما جاء أمر الله تعالى، أصابهم زلزال رجف بهم، وصيحة صعقتهم وذلك بسحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب، ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح، وفاضت النفوس وخمدت الأجساد.

كأنهم لما أصابتهم النقمة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا إجلاء رسولهم منها.

فتولى عنهم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد ما أصابهم ما أصابهم من العذاب والنقمة والنكال، وقال مقرعًا لهم وموبخًا، يا قوم قد أديت إليكم ما أرسلت به، فلا آسف عليكم وقد كفرتم بما جئتكم به، فكيف آسى على قوم كافرين؟!!

وقد كانت عقوبتهم مناسبة لفعلهم، فإنهم أرجفوا بنبي الله ومن اتبعه، فأخذتهم الرجفة.

و استهزأوا بنبي الله فجاءتهم صيحة تسكتهم، لما قالوا على وجه التعنت والعناد، أن ينزل عليهم عذابًا من السماء، فحق عليهم ما استبعدوا وقوعه، من نزول النار واللهب.

وفي عذابهم آية وعبرة والله العزيز في انتقامه من الكافرين، الرحيم بعباده المؤمنين.

ومن الآيات العظيمة نجاة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن آمن معه من المؤمنين.

***

إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ

إسماعيل هو أكبر ولد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمه هاجر القبطية، وضعه أبوه مع أمه في مكة ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا فلم تر أحدًا فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدًا فلم تر أحدًا، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت صه تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضًا فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف ،

فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فإن ها هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك، حتى مرت بهم رفقة من جرهم، مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرًا عائفًا فقالوا إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي، وما فيه ماء فأرسلوا رسولا، فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا، وأم إسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا نعم، فأحبت أم إسماعيل مكوثهم عندها، وهي تحب الأنس، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب إسماعيل، وتعلم العربية منهم وكان من أنفسهم وخيرهم، وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم إسماعيل [١].

لقد شب إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان أحسن الناس رميًا بالسهام[٢].

---

(١) صحيح البخاري عن ابن عباس٣٣٦٤.

(٢) صحيح البخاري ٢٨٩٩ عن سلمة بن الأكوع عن النبي ﷺ.

وهو أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل، وهو ابن أربع عشرة سنة[١].

وهو أبو العرب المستعربة، فكل العرب المستعربة من ذريته.

وامتحنه الله تعالى في رؤيا أبيه حين رأى أنه يذبحه، فامتثل لأمر الله واستسلم، ووعد أباه بالصبر على ذلك فوفى بوعده، فكانت العاقبة الحميدة له ولأبيه الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثم ساعد والده الخليل على بناء البيت العتيق، وكان من أبر الناس بأبيه الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وكان من صفاته الحميدة وأخلاقه الجميلة، الصدق بالوعد والأمر بالبر، والحلم والصبر، والالتزام بالطاعة، وتعهد أسرته بالأمر بالصلاة، وكان من خيار الناس في وقته.

وقد أثنى الله تعالى عليه، ووصفه بالحلم والصبر وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمر بها لأهله ليقيهم العذاب، مع ما كان يدعو إليه من عبادة رب الأرباب، فذكر الله عنه كل صفة جميلة،

---

(١) قال الحافظ في فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٤٦) رواه الزبير بن بكار في النسب من حديث علي بإسناد حسن.

وجعله نبيه ورسوله، وبرأه من كل ما نسب إليه الجاهلون بأنه كان يهوديًا أو نصرانيًا.

وقد بعثه الله نبيًا ورسولًا إلى قومه، من قبائل جرهم والعماليق وأهل اليمن وكان من شريعته الصلاة، والزكاة وشؤون ملة أبيه إبراهيم.

وسار على ملة أبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى توفاه الله في مكة، ودفن فيها، وكان عمره يوم مات مائة وسبعًا وثلاثين سنة.

وكان دينه متبعًا عند العرب حتى غيّره عمرو بن لحي الخزاعي(١).

***

(١) عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن الجون: يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة يجر قصبه في النار فما رأيت رجلا أشبه برجل منه بك قال أكثم: يا رسول الله يضرني شبهه؟ قال: لا هو كافر إنه كان أول من غير دين إسماعيل، فسيب السائبة وبحر البحيرة، ووصل الواصلة، وحمى الحامي). أخرجه البزار (١٥/ ٣٨٤ ٨٩٩١وهو حديث حسن وحسنه الألباني في الصحيحة.

إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ

إسحاق الكريم عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الابن الثاني للخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد بشره الله به على الكبر، وبشر بولده يعقوب معه، ووصفه بالعلم بشريعة الله تعالى، وبارك فيه وفي ذريته، وهو ابن لسارة زوج إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. فكانت ولادته معجزة [1]، وفي البشارة بابنه يعقوب معجزة أخرى.

عاش إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ في كنف والده الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتعلم منه العلم والخلق والصلاح، فقد نشأ نشاءة صالحة، على التوحيد والايمان ومكارم الأخلاق، وقد بارك الله فيه كما بارك في أبيه الخليل، وبارك في ذريته، وذريته هم بنو إسرائيل، فجعل النبوة في ذرية إسحاق، وقد ذكره الله تعالى بالثناء عليه في القرآن الكريم

بعثه الله بالنبوة لما كبر، وبلغ مبلغ النبوة، أربعين سنة، نبيء بشريعة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(١) ذكر بعض أهل العلم أن إسحاق هو الذبيح، الذي رأى أبوه الرؤيا أنه يذبحه، وهذا خطأ واضح إذ كانت البشرى بإسحاق بعد الرؤيا، والبشارة بإسحاق كانت معها بشارة اخرى بيعقوب، فكيف يكون الذبيح وقد بُشر بولده من بعده.

وتزوج إسحاق في حياة أبيه، وكانت امرأته عاقرًا، فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توأمين أولهما سموه عيصو، وهو الذي تسميه العرب العيص. وهو والد الروم، والثاني خرج وهو آخذ بعقب أخيه فسموه يعقوب، وهو إسرائيل الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل.

سار نبي الله إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ بالناس سيرة أبيه إبراهيم على التوحيد والعقيدة الصحيحة

وكبر إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ، وضعف بصره، وكان في رعاية ابنيه العيص ويعقوب، ثم مرض إسحاق ومات عن مائة وثمانين سنة، ودفنه ابناه العيص ويعقوب مع أبيه إبراهيم الخليل في المغارة.

***

يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ

ولد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، مع أخيه العيص، واسمه إسرائيل، وقد اختص الله تعالى يعقوب بالتكريم، وهو المبشر به من ربه سبحانه وتعالى، فنشأ نشاءة صالحة في كنف والده إسحاق وجده الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ فهو الكريم ابن الكريم، وأبو الكريم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

تزوج يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أختين، وكان في شريعتهم جواز الزواج من الأختين، فوهب من الكبرى عشرة من الولد، ومن الصغرى يوسف وبنيامين.

وهم الأسباط المذكورين في القرآن وإليهم تنتسب شعوب بني إسرائيل، وليس فيهم نبي إلا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

نبيء يعقوب بشريعة جده إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وسار بالناس سيرة أبيه وجده.

بناية يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بيت المقدس:

كان أول مسجد وضع في الأرض المسجد الحرام، ثم المسجد

الأقصى و كان بينهما أربعون [1] سنة، بناه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمر الله تعالى بعدما بنى الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وابنه إسماعيل المسجد الحرام.

امتحان الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ببنيه:

امتحن الله تعالى يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بأولاده وما كان بينهم وبين يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد حسدوه لحب أبيه له، وعلم يعقوب بابتلاء الله له فصبر، وتجلد للبلاء واستعان بربه على ذلك، حتى ابيضت عيناه من الحزن، وذهب بصره، وبلغ من الحزن مبلغه، وكظم هذا الحزن، ثم ابتلاه الله بأخ يوسف الشقيق بنيامين، فاشتدت الكربة، ولكنه يعلم من الله ما لا يعلمه من حوله، من حسن ظنه بالله، ووعد الله له، وتفائله وأمله، ولم يبث حزنه وشكواه إلا إلى ربه سبحانه، لقد عاش لوعة الفقد، وعقوق الأبناء، فما كان ليبث خبره للناس ولا يظهر أمره إلا لله تعالى الذي ابتلاه، فأوصى بنيه بعدم اليأس والقنوط من رحمة الله.

---

(١) صحيح البخاري ٣٤٢٥ عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ.

لقد كان يعلم أنه في ابتلاء وامتحان، وأن كل ما جرى له بتقدير الله تعالى له، وأن الفرج قريب، وأن مع اليسر يسرًا.

فكانت العاقبة الحميدة له فارتد إليه بصره، وجاءه البشير بيوسف وأخيه، وألقي عليه القميص فزالت الأحزان، وجمع الله بينه وبين بنيه، وتصافت النفوس، وزال ما فيها من الحسد والكراهية، وأبدل الله تعالى يعقوب بعد العسر يسرًا، وعزًا ومكانة، وهاجر إلى أرض مصر ودخلها آمنًا مؤيدًا منصورًا، ولقد كان.

يعلم أن الله سيجمع شمله بيوسف، وستقر عينه به، وسيريه الله فيه، ومنه ما يسره.

أقام يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بديار مصر عند يوسف سبع عشرة سنة، فلما حضرته الوفاة أوصى بنيه بالتوحيد يحيون عليه ويموتون عليه، جمعهم جميعًا ليطمئن قلبه عليهم وهو يودع الدنيا، ما عقيدتهم من بعده؟ فأجابوه جميعًا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق. إلهًا واحدًا. ونحن له مسلمون، لم يحمل همَّ حياتهم الدنيوية وإنما حمل همَّ دينهم وعقيدتهم.

ثم توفي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأوصى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يدفن عند أبويه إبراهيم وإسحاق، فخرج يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من مصر إلى فلسطين فدفنه بالمغارة عند أبيه إسحاق وجده الخليل عليهم السلام.

***

يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ

ولد يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في أرض كنعان، وهو الابن الحادي عشر ليعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فتربى في كنف أبيه وأمه، وتعلم ونشأ نشاءة صالحة، وأحبه أبوه يعقوب محبة عظيمة ظهرت أثارها بين اخوته وكانت سبب حسدهم له، وسبب ابتلاء وامتحان لهذا الغلام، ولعل يعقوب أوحي إليه بمكانة يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وكانت الرؤيا التي رآها يوسف مؤكدة لهذا الفضل والمكانة التي سيصل إليها، فقد رأى يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وهو صغير قبل البلوغ، كأن أحد عشر كوكبًا، وذلك إشارة إلى بقية إخوته، والشمس والقمر إشارة إلى أبويه قد سجدوا له فهاله ذلك، فلما استيقظ قصها على أبيه، فعرف أبوه أنه سينال منزلة عالية، ورفعة عظيمة في الدنيا والآخرة، بحيث يخضع له أبواه وإخوته فيها، فأمره بكتمانها وأن لا يقصها على إخوته كيلا يحسدوه، ويبغوا له الغوائل ويكيدوه بأنواع الحيل والمكر.

وقال له يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أن هذه الرؤيا تدل على أن الله يخصك بأنواع اللطف والرحمة، ويفهمك من معاني الكلام، وتعبير المنام

مالا يفهمه غيرك وينعم الله عليك بالنبوة، فتكون بركتك على آل يعقوب، ويحصل لهم بك خير الدنيا والآخرة، كما أعطى النبوة أباك يعقوب وجدك إسحاق ووالد جدك إبراهيم الخليل.

فهو أكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله [١].

صمم الإخوة بإبعاد يوسف عن وجه أبيهم بأي طريقة، فتشاوروا على قتله أو وضعه في البئر فاستقر رأيهم على وضعه في البئر، وكان يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يأذن ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بالخروج مع إخوته للرعي أو للسبق خوفًا عليه من أن يصيبه سوء من كيدهم أو من غيرهم، ولم يكن يصرح لهم بأنه لا يأمنهم عليه، فعرضوا على أبيهم خروج يوسف معه ورغبوه باللعب والمرح، فذكر لهم يعقوب سبب امتناعه من خروج يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ معهم إلى الريف بأنه يحزنه لبعده عنه أيامًا، وبأنه يخشى عليه الذئاب، وهو غلام

---

(١) عن ابن عمر، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. صحيح البخاري - ٣٣٩٠.

صغير لا يدفع عن نفسه شيئًا، فقالوا لئن أكله الذئب ونحن جماعة فلا خير فينا، ولسنا من أهل القوة والحفظ، فأقنعوا أباهم بخروج يوسف معهم، فلما أجابهم يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ما طلبوا ذهبوا به وبلغوا المكان الذي فيه البئر، فاجتمع رأيهم بإلقائه في البئر. فألهم الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حين كادوا له، ليزيل عنه كربة الموقف أن الله سيخلصه من هذه المصيبة وتكون له العاقبة على الذين كادوا له، وألقى الله في قلبه من السكينة ما تكون له أُنسًا في وحشة البئر.

وأوحى الله إلى يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمرهم وما كادوا ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك إيذانًا بالابتلاء، فعلم يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أن طريق الابتلاء له وليوسف قد ابتدأ فسأل الله العون.

فرجع الأبناء إلى أبيهم في ظلمة الليل يبكون، ويظهرون الأسف والجزع على يوسف، ويخبرونه أن الذئب أكله وهم يستبقون، ونحن نعلم أنك لا تصدقنا، لو كنا عندك صادقين، فكيف وأنت تتهمنا في ذلك.

وجاءوا على قميصه بدم سخلة ذبحوها، ولطخوا ثوب يوسف

بدمها، فقال لهم بل سولت لكم أنفسكم أمرًا، فسأصبر صبرًا جميلا على هذا الابتلاء، لا شكوى ولا جزع، حتى يفرجه الله بعونه ولطفه، والله هو المعين الذي يستعان فيه في النوائب والشدائد، وعلى ما فعلتم بأخيكم .

وكان إخوة يوسف لما ألقوه جلسوا حول البئر يومهم ذلك، ينظرون ما يصنع وما يصنع به، فساق الله له سيارة، فنزلوا قريبًا من تلك البئر، وأرسلوا رجلا منهم يتطلب لهم الماء -فلما جاء تلك البئر، وأدلى دلوه فيها، استمسك يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بالدلو، فأخرجه واستبشر به.

وأسرَّ إخوة يوسف، شأنه، وكتموا أن يكون أخاهم وكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته، واختار البيع، وباعه إخوته بثمن قليل، فذهبوا به وباعوه بمصر.

ومن لطف الله بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قيض له الذي اشتراه من مصر، فاعتنى به وأكرمه، وأوصى أهله به، وتوسم فيه الخير والفلاح، وكان الذي اشتراه عزيز مصر، وهو الوزير بها، وكان على خزائن مصر، وبقي يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في قصر العزيز مكرمًا

معززًا، وقد وهبه الله نصف جمال البشر [١] وأهل الجنة على جماله وصورته عَلَيْهِ السَّلَامُ [٢].

فلما بلغ مبلغ الرجال، راودته امرأة العزيز عن نفسها لما رأت من جماله وحسن خلقته، فكانت تتعرض لها في زينتها لعلها تغريه، فكان عفيفًا عن الحرام، وفيًا بعهد من أحسن إليه، وأبقاه في بيته.

حتى جاء اليوم المحدد الذي أغلقت فيه الأبواب، وطلبته إلى الحرام، فقال أعوذ بالله أن أخون من أحسن إليَّ وأكرمني، وفي استجابته لطلبها ظلم لنفسه بارتكابه الحرام، وظلم لسيده الذي آمنه على بيته، وآمنها على نفسها إذ اتخذها زوجًا.

ومع إلحاحها وإغرائها وعزمها على طلبها، هم يوسف بأن يجيبها لما دعته إليه ثم انكف على ذلك، وتركها لما رأى برهان ربه، والهم لا يعاقب عليه، بل إن ترك السيئة بعد الهم بها تكتب حسنة. وبرهان الله تعالى ما جعله الله تعالى في قلبه من عظم هذه الخطيئة

---

(١) صحيح مسلم ٤٢٩ في الاسراء إذا أنا بيوسف ﷺ إذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير.

(٢) أخرجه الطبراني في (الأوسط) (٢ / ٣٠٢ / ١) وهو صحيح صححه الألباني في الصحيحة ٢٥١٢.

وقبحها وشناعتها، فإن الله صرفه عن ذلك ووقاه الله السوء والفحشاء، لما له من المكانة فقد اختاره الله وجعله من عباده المطهرين، المحفوظين من الشيطان الرجيم.

وهرب يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ منها إلى الباب ولحقت به فقطعت قميصه من الخلف، وكان زوجها عند الباب ليدخل، فتفاجأ بالمنظر والحال، فانقلبت زوجته إلى مستغيث به من يوسف ورمته بمحاولة الاعتداء عليه، واقترحت العقوبة بالسجن أو القتل لتخيف يوسف، ولتظهر بمظهر الشريفة العفيفة وهذا من مكر النساء.

عند ذلك انتصر يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بالحق، وتبرأ مما رمته به من الخيانة، وقال وهو الصادق الأمين هي طلبت الفاحشة مني وهربت منها فاتبعتني تجذبني إليها حتى قطعت قميصي، وكان طفل بالبيت في المهد فأنطقه الله [١] فقال: إن كان قطعت قميصه من

---

(١) في مسند أحمد ط الرسالة (٥/ ٣٠) ٢٨٢١ قال ابن عباس: (تكلم أربعة صغار: عيسى ابن مريم عليه السلام، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون) وهو حديث حسن.

أمامه فصدقت، وإن كان القطع من الخلف فصدق وهي من الكاذبين، فكانت بهذه الشهادة كاذبة وتبين للعزيز براءة يوسف، وكذب زوجته.

وقال العزيز لزوجته هذا البهت والاتهام من جملة كيد النساء، ومكرهن، وقال ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أعرض عن هذا الأمر، واكتمه، فلا تذكره لأحد، وقال لامرأته توبي من ذنبك واستغفري مما وقع منك، فقد أخطأت في حق نفسك وحق هذا الغلام.

ولم ينته الأمر عند هذا فقد شاع في المدينة خبر هذه القصة، فقالت نساء الأمراء والكبراء، ينكرن على امرأة العزيز، ويعبن ذلك عليها أنها تحاول غلامها عن نفسه، وتدعوه إلى نفسها، وما تفعل ذلك إلا من وصل حبه إلى غلاف قلبها.

فلما سمعت بقولهن من الانكار عليه، وهن في أنفسهن يتمنين رؤية هذا الغلام، دعتهن إلى مأدبة وهيأت لهن أماكن للجلوس عليهن ووضعت موائد من الفاكهة للأكل، وأعطت كل واحدة منهن سكينًا لتأكل بها، وأمرته بالخروج إليهن فلما رأينه أعظمنه، أعظمن جماله وخلقته، وقطعن أصابعهن بالسكاكين اللاتي

بأيديهن، وقلن إن هذا بجماله لا يشبه البشر بل يشبه الملائكة، حينئذ اعترفت امرأة العزيز بحبه له ورغبتها به، وأن مثل هذا لا يلام في حبه، ولكنه لم يفعل ما طلبته منه، وامتنع. واكدت رغبتها به وطلبته لنفسها مرة أخرى ولكنه دعا ربه أن يصرف شرهن عنه، فهددته بالسجن، فاختار السجن على الفاحشة.

وفضّل السجن مع ما فيه من الألم والشدة وضيق النفس على ما يدعونه إليه من الاستمتاع بالمرأة الحسناء، وما فيه من اللذة المحرمة، فكرهه للحرام، حبّب إليه السجن.

إنه عفاف هذا الشاب عن الحرام فاختار ما يشق على النفس على ماتتلذ به من الحرام، تلك تربية يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ واصطفاء الله له، واختياره للابتلاء.

وبعد هذا الابتلاء ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وظهور براءته، ابتدأت رحلة أخرى للبلاء وذلك بدخول السجن، وانتقاله من القصور إلى السجن، فقد سجنوه لئلا يشيع ما كان منها في حقه، ويبرأ عرضه فيفضحها. فسجنوه حتى يظهر في صورة المجرمين بإرادته السوء بامرأة العزيز.

فدخل يوسف السجن، وهو في سن النبوة، فنبيء في السجن، فكانت النبوة شرفًا له، وتمكينًا ورفعة، فكان في السجن مثالا في الأخلاق، فقد اشتهر في السجن بالجود، والأمانة وصدق الحديث، وحسن السمت وكثرة العبادة، صلوات الله عليه وسلامه، ومعرفة التعبير والإحسان إلى أهل السجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم.

فابتدأ دعوته في السجن إلى التوحيد والتحذير من الشرك، ودخل السجن فتيان فتوسما من يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كمال العقل والفهم فظنا أنه يحسن تعبير الرؤيا، فقد رأيا منه الاحسان إلى الآخرين، فطلبا منه أن يفسر لهما رؤيًا رأياها فقال الأول: رأيت أني غرست شجرة من عنب، فنبتت. فخرج منها عناقيد، فعصرتهن ثم سقيتهن الملك.

وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزًا تأكل الطير منه.

فلم يجيبهما بالتأويل، وإنما أخر ذلك حتى يأتيهما طعامهما الذي يعطونه في السجن، حتى يدعوهما إلى التوحيد ويوضح ما منَّ الله عليه من الهداية إلى الحق.

فأخبرهما بأن الله علمه التأويل وعلّمه التوحيد واختصه بالدعوة إلى هذا التوحيد فهو في هذا المكان منفرد بتوحيد الله وترك ملة أهل المدينة من القبط الذين شب بينهم، وأراد الله اختياره لهدايتهم، فهم لا يؤمنون بالله.

وذكر آباءه تعليمًا بفضلهم، وإظهارًا لسبقهم في الصلاح، فقد نشأ على التوحيد، وقبّح لهما الشرك، وأثار الشك في قلوبهما في تلك الآلهة المتعددة، التي اخترعها البشر وأوجدوها وعبدوها من دون الله.

فالدين الحق هو التوحيد وإفراد الله بالعبادة، ثم بعد دعوتهما إلى الحق فسر لهما الرؤيا، وقال لهما أحدكما يسقي ربه خمرًا، وهو الذي رأى أنه يعصر خمرًا، ولكنه لم يعينه لئلا يحزن ذاك، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه، وهو الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزًا. ثم أعلمهما أن هذا التأويل قد فرغ منه، وهو واقع لا محالة.

ولما ظن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ نجاة أحدهما -وهو الساقي- قال له

يوسف خفية عن الآخر، اذكر قصتي عند الملك - فنسي ذلك الموصى أن يذكر مولاه بذلك، وكان من جملة مكايد الشيطان، لئلا يخرج نبي الله من السجن.

فبقي يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في السجن سبع سنين حتى رأى الملك الرؤيا التي أفزعته وطلب تأويها، فلم يجد من يفسرها، حينئذ تذكر الرجل يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال أرسلوني أسأل يوسف عن الرؤيا، فذهب إليه في السجن، فقال له: يوسف أيها الصادق المصدق العليم بالتأويل أجبنا عن هذه الرؤيا فأرجع إلى الملك وجلسائه بالجواب، وكان الرجل على ثقة أن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سيفسر الرؤيا، وأخبره أن الملك رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلة، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، فأجابه يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولم يتردد في الاجابة ولم يساوم الملك على إخراجه من السجن وإنما أجاب بالتأويل وما يقترحه تجاه هذه الرؤيا.

فعبر الرؤيا بجميع ما دلت عليه، فالبقرات السبع السمان تدل على سنين الزراعة والخصب، والبقرات الهزيلة تدل على القحط،

وأن سنوات القحط ستأكل ما سيكون في سنين الخصب.

والسنبلات الخضر رمز للأقوات؛ وللطعام الذي ينتفع به، والسنبلات اليابسات رمز لما يُدخر، وكونها سبعًا رمز لادخارها في سبع سنين فقال له: يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات، ثم يأتيكم سبع سنين قحط وجدب، فأرشدهم إلى ما يعتمدونه في تلك السنين فقال: ما حصدتم في هذه السبع السنين الخصب فاخزنوه في سنبله، ليكون أبقى له وأبعد عن إسراع الفساد إليه، إلا المقدار الذي تأكلونه، وليكن قليلا قليلا لا تسرفوا فيه، لتنتفعوا في السبع الشداد.

ثم بشرهم أنه بعد الجدب يعقبهم عام يأتيهم فيه المطر، فيكثر الزرع، ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم، من زيت، وعنب، وغيره، ويحلبون الأنعام وتكثر الخيرات.

فكانت رؤيا الملك لطفًا من الله بهؤلاء القوم الذين آووا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي طريق إلى رفعة الله ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فلما رجع الرجل إلى الملك بتعبير رؤياه، التي رآها، أعجبه

التفسير، وعرف فضل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلمه وحسن فهمه وحسن أخلاقه، فقال: أخرجوه من السجن وأحضروه. فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته من براءته، ونزاهة عرضه، مما نسب إليه من جهة امرأة العزيز، وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه، بل كان ظلمًا وعدوانًا.

لقد أبى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ الخروج من السجن قبل أن تثبت براءته مما رمي به في بيت العزيز، وليظهر كيد امرأة العزيز ومن معها من النساء، والله عليم بذلك.

فرجع رسول الملك فأخبر الملك بما طلبه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فأحضر الملك النسوة اللائي كانت جمعتهن امرأة العزيز، فأقررن بعفة يوسف وطهارته، وقالت امرأة العزيز لقد ثبت الحق وظهرت براءته.

فقال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك أمري ليعلم الجميع أني لم أخن سيدي ولم أعتدِ على عرضه، بل كنت وفيًا، أمينًا على بيته، ولم أقل ذلك ادعاء لنفسي بالبراءة من ارتكاب الذنوب، ولكن رحمة ربي بي

حيث عصمني عن السوء، وهذا من تواضعه لربه لما ظهر الحق.

وانتهت بذلك سلسلة ابتلاءات الشر، ودخل يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الابتلاء بالخير، وذلك بحب الملك له وتقديمه له، وجعله جليسًا له.

فلما حضر يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى الملك كلم الملك بكلام العاقل الحكيم، فلما رأى حسن منطقه وبلاغة قوله وأصالة رأيه، رآه أهلًا للثقة.

فقد جمع العلم والقدرة، ، والأمانة والحكمة، والفهم الصحيح، وذلك من خلال تأويله الرؤيا فعلم بعد نظره وحنكته، وحسن إدارته، ولذلك عرّض الملك ليوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للاستعانة به وبالأخص فيما يستقبله من الأيام.

فقدّم يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نفسه للقيام بمصالح الأمة على طريقة أهل الفضل والكمال، فهو لم يسأل لنفسه مالا، ولا عرضًا من متاع الدنيا، ولكن سأل أن يوليه خزائن المملكة ليحفظ الأموال ويعدل في توزيعها ويرفق بالأمة جميعًا.

وقد علم يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من نفسه أنه في هذا المكان، سينشر

دعوته للتوحيد ويبث ملة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام. وقد صدق وبر عَلَيْهِ السَّلَامُ فكان خير الناس للناس في هذا الزمن العصيب.

وهو تقدير الله تعالى من تمكين يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ورفعة مكانته في الدنيا، مع ما يكون له في الآخرة من الرفعة.

جاءت سنين الخصب والرخاء، فسار يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بالناس، كما ذكر من الاقتصاد، وتخزين الأطعمة، فلما انتهت تلك السنين، وجاء القحط والجدب وفني ما كان عند الناس، كانت خزائن مصر بسياسة يوسف مليئة بالأطعمة الطيبة، فقدم الناس من الآفاق يشترون الطعام، وكان من جملتهم إخوة يوسف جاءوا إلى مصر لطلب القمح.

فدخلوا على يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فعرفهم لقوة فراسته، ولم يعرفوه فقد فارقهم غلام صغير مملوك، وهم يدخلون على عزيز مصر، وكان مجيئهم في السنة الثالثة من سني القحط. وكانوا عشرة، غير شقيقه لصغره، وقد جاءوا كلهم لأن التزود من الطعام كان بتقدير

يراعي فيه عدد الأشخاص، وكان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قد سألهم عن أنفسهم، فعرفوه بمكانهم من قومهم، وبأبيهم يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعدد عائلتهم، وذكر أخاهم الصغير غير الشقيق، فطلب منهم احضاره معهم في السنة القادمة، وإلا لم يحضروه فلا يأتوا لمصر مرة أخرى، وقد رغبهم بحسن الضيافة وكرمه عليهم بالقمح والطعام ووفاء الكيل لهم، ثم وضع مالهم في أوعية الطعام ترغيبًا لهم بالرجوع والاتيان بأخيهم الأصغر.

وكانوا يعلمون صعوبة مجيئه إلى مصر معهم لشدة تعلق قلب يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ به، فلما رجعوا إلى أبيهم أخبروه بما طلب منهم العزيز، بمنعهم من الطعام إلا لم يحضروا أخاهم بنيامين، فرفض أبوهم ذلك لأنه يخاف أن يكون مصيره مصير يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد فرطوا به، فلما فتحوا أمتعتهم وجدوا دراهمهم قد ردت إليهم، فأخبروا أباهم أن أموالهم رجعت إليهم ويزدادون كيل بعير بذهاب أخيهم معهم، فأخذ منهم المواثيق والعهود أن يرجعوا به إليه، فعاهدوا أباهم على حفظه.

ثم أمرهم أبوهم أن لا يدخلوا المدينة من باب واحد، ولكن ليدخلوا من أبواب متفرقة. حتى لا تصيبهم العين، لأن صورتهم حسنة، وعددهم كثير، فدخلوا مصر كما أمرهم أبوهم، ودخلوا بأخيهم بنيامين على شقيقه يوسف، فأوى إليه وأخبره سرًا عنهم بأنه أخوه، وأمره بكتم ذلك عنهم، ثم احتال على أخذه منهم، وتركه إياه عنده دونهم، فأمر فتيانه بوضع سقايته، في متاع بنيامين، وهي التي كان يشرب بها، ويكيل بها للناس الطعام، ثم أعلن بأن صواع الملك، قد سرق ووعد من جاء به حمل بعير، فأقبل إخوة يوسف على المنادي ماتفقدون فأخبروهم أنهم يفقدون صواع الملك، وقال لهم إنكم أنتم السارقون له، فأنكروا ذلك، وأخبروهم بما يعلمون من أنفسهم، فقال المنادي إن كان السارق منكم فما هي عقوبته؟ وكانت شريعتهم أن السارق يدفع إلى المسروق منه فيملكه، فأقروا بالعقوبة إن كان أحدهم سارقًا – فبدأ بالتفتيش في أمتعتهم، ليكون ذلك أبعد للتهمة وأبلغ في الحيلة، ثم استخرج الصواع من متاع بنيامين، ولولا اعترافهم بأن عقوبة من وُجد في

رحله، هو أن يدفع إلى المسروق منه على شريعتهم لما كان يقدر يوسف على أخذه منهم في سياسة ملك مصر، فكان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أعلم منهم وأتم رأيًا وأقوى عزمًا، وما فعل ما فعل إلا بأمر الله له في ذلك؛ لما في هذا الأمر من المصلحة العظيمة، من قدوم أبيه وقومه عليه ووفودهم إليه.

فلما رأوا استخراج الصواع من متاع بنيامين، قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل يقصدون يوسف. فأضمر يوسف هذا الأمر في نفسه وقال أنتم شر منزلة أجابهم سرًا في نفسه حلمًا وكرمًا وصفحًا وعفوًا، وبعد ذلك ترققوا وألانوا له الكلام واستعطفوه، وأخبروه أن له أبًا شيخًا كبيرًا، فليأخذ أحدهم مكانه، فرفض يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال لا نأخذ إلا من وجدنا الصواع معه.

لما يأس الاخوة من يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتشاوروا في أمر أخيهم بنيامين، فقال الكبير منهم لقد أعطينا أبانا عهدًا أن نعيد له بنيامين، ونحن اليوم لا نستطيع إرجاعه إليه، وقد كنتم فعلتم في يوسف ما فعلتم، فلن يصدقكم أبوكم بما تخبرونه به، ولن أرجع معكم حتى يرضى أبي أو يحكم الله في الأمر بفرج من عنده.

فأخبروا أباكم بما وقع، فقد كان على ملأ من الناس، لكن الأب لم يصدق، وظن بهم سوءًا، وقد صدق ظنه في زعمهم في يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولم يتحقق ما ظنه في أمر بنيامين، وهذا الظن لعلمه أن ابنه لا يسرق، فعلم أن في دعوى السرقة مكيدة.

وتسلح بالصبر الجميل، واستعان بالله تعالى وسأل الله تعالى أن يأتيه بهم جميعًا، وهذا من حسن ظنه بربه تعالى.

وتجدد الحزن على يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد فقد أخيه، فقد كان ذكرى له وهو اليوم مفقود كما فقد يوسف.

ولاموه على تذكره يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وتذكر يوسف يزيده مرضًا وكمدًا زيادة على ما فيه من الحزن وفقد البصر.

فرد عليهم أنه يشكو مصيبته إلى ربه، وأدعو الله أن يردهم جميعًا، فقد كان عنده اليقين بأن يوسف لم يمت، ولكنه زمن الابتلاء، لأن الرؤيا تدل أن هذه القصة تدل على نهاية مفرحة، فهو يعلم من ربه مالا يعلمه من حوله.

وطلب منهم الذهاب للبحث عن يوسف والاتيان بأخيه، وشجعهم على التوكل على الله والتفاؤل وحسن الظن بالله تعالى ونهاهم عن اليأس والقنوط.

وهنا أدرك الاخوة ضعفهم مع عزيمة أبيهم، ورحموا هذا الأب الذي بلغ به الضر والحزن مبلغه.

فذهبوا وقلوبهم منكسرة ذليلة، خاضعة لفقرهم وضعفهم، وقلة حيلتهم، ودخلوا على يوسف يشكون له الحال ويخاطبونه بخطاب التعظيم له، واستعطافه على حالهم التي وصلوا إليها، فطلبوا الاحسان إليهم، وذلك غاية الضعف والانكسار .

فلما رأى يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما بإخوته من الجهد والضيق وقلة الطعام وعموم الجدب، وتذكر أباه وما هو فيه من الحزن لفقد ولديّه، مع ما هو فيه من الملك والتصرف والسعة، فعند ذلك أخذته رقة ورأفة ورحمة وشفقة على أبيه وإخوته، وبدره البكاء، فتعرف إليهم، وأخبرهم بنفسه بأمر الله تعالى الذي اقتضت حكمته أن الاخوة يصلون إلى هذه الحال من الضيق والشدة، ليأتي فرج الله تعالى من ذلك الضيق.

فقال: تعلمون ما فعلتم بيوسف وأخيه فقد ارتكبتم هذا الخطأ حال جهلكم وشدة غيرتكم وقسوة قلوبكم، وأخبرهم أن تقوى

الله والصبر على طاعته وعن معصيته، وعلى المصائب يورث العبد أكرم المنازل.

فعلموا أنه يوسف وتعرفوا عليه وأدركوا خطأهم في حقه، وأن الله تعالى أكرمه وأعلى منزلته.

فقال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد ذلك لا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم يغفر الله لكم، ويستر الله عليكم فيما فعلتم.

إنها أخلاق الأنبياء العفو والصفح، والتعالي عن الأحقاد والضغائن، والانتصار للنفس.

وانتقل يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى ما هو أهم من العتاب، انتقل إلى شأن أبيه ذلك الشيخ الذي ابيضت عيناه من الحزن، وبلغ به البلاء ما بلغ. فقد جاء الوحي بانتهاء الغمة، فهو متعجل إلى بشارة أبيه. ومشتاق ومتلهف إلى لقائه.

وقد أوحي إليه أن يرسل قميصة ليكون سببًا في رجوع بصره، فذاك القميص الذي جاء به إخوته أدخل الحزن إلى قلبه، وهو اليوم يدخل السرور عليه، وبينهما زمن الابتلاء.

وكان الناس قد يئسوا من وجود يوسف وحياته إلا هذا الأب

الضرير، فقد وجد ريح القميص من مسافة بعيدة، وتلك معجزة ليعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، لقد وجد ريح يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ولكن خشي أن يقدحوا في عقله وإدراكه، فقالوا إنك لاتزال تهذي بخيال لا يمكن أن يتحقق، وهو وجود يوسف.

ولكنه يقين الأنبياء فجاء البشير إليه فألقى عليه القميص فرجع إليه بصره، وأيقن بمكان يوسف، وتلك معجزة أخرى له وليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فلما ارتد بصر يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ إليه ذكرهم بحقيقة ما يعلمه من ربه. تلك الحقيقة التي حدثهم بها من قبل فلم يفهموه، ولم يستوعبوا علمه بما صنعوا وكادوا ومكروا، فهو يعلم كل ما يجري حوله بتعليم الله له، ولكنه الابتلاء الذي صبر عليه.

حينها أدرك الأبناء أن أباهم اتضح له جرمهم، فطلبوا العفو والصفح والاستغفار لهم، فوعدهم بالاستغفار في المستقبل وأراد أن ينبههم إلى عظم الذنب وعظمة الله تعالى، وأخر الاستغفار لهم إلى ساعة يستجاب فيها الدعاء.

بعد ذلك استعد الجميع للرحيل إلى أرض مصر، الأبناء وأولادهم ونساءهم.

ولما أزف قدوم نبي الله يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أراد يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يخرج لتلقيه، فركب معه الملك وجنوده خدمة ليوسف وتعظيمًا لنبي الله يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان جملة من قدم مع يعقوب من بنيه، وأولادهم ثلاثة وستين إنسانًا.

فدخلوا مصر مكرمين معززين آمنين، قد زالت عنهم الألآم والعسر والشدة والحزن، وحلَّ محلها الفرح واليسر والكرامة والمجد.

وأجلس أباه وأمه على سريره، وسجد له الأبوان والإخوة الأحد عشر تعظيمًا وتكريمًا، وكان هذا مشروعًا لهم، وهو محرم في شريعتنا.

وقال يوسف لأبيه هذا تعبير ما كنت قصصته عليك من رؤيتي الأحد عشر كوكبًا والشمس والقمر حين رأيتهم لي ساجدين، وأمرتني بكتمانها، ووعدتني ما وعدتني عند ذلك.

ثم لما رأى يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نعمته قد تمت، وشمله قد اجتمع، عرف أن هذه الدار لا يقر بها قرار، وأن كل شيء فيها ومن عليها فان، وما بعد التمام إلا النقصان فعند ذلك أثنى على ربه بما هو أهله، واعترف له بعظيم إحسانه وفضله، وسأل منه أن يتوفاه على الإسلام، وأن يلحقه بعباده الصالحين.

فكل مُتع الحياة تختفي لتبقى ساعة النهاية التي لا تغيب عن قلب المؤمن، الذي يبتهل إلى ربه أن يحفظ له إيمانه حتى يتوفاه إليه، ويثبته على الحق وأن يلحقه بالصالحين بين يديه فذلك النجاح والفوز الحقيقي

وبقي يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في مصر حتى حضرته الوفاة، وأخذ الميثاق على بني إسرائيل أنه إذا خرجوا من مصر أن يخرجوا به، فدفن في مصر، حتى أخرجه معه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فدفنه عند آبائه[١].

***

(١) عن أبي موسى قال: أتى النبي ﷺ أعرابيًا فأكرمه فقال له: (ائتنا) فأتاه فقال له رسول الله ﷺ: (سل حاجتك) قال: ناقة نركبها، و أعنزًا يحلبها أهلي فقال رسول الله ﷺ: (أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل)؟ قالوا: يا رسول الله وما عجوز بني إسرائيل؟ قال: (إن موسى عليه السلام لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق فقال: ما هذا؟ فقال علماؤهم: إن يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ علينا موثقًا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال: فمن يعلم موضع قبره؟ قال: عجوز من بني إسرائيل فبعث إليها فأتته فقال: دليني على قبر يوسف قالت: حتى تعطيني حكمي قال: وما حكمك؟ قالت: أكون معك في الجنة فكره أن يعطيها ذلك فأوحى الله إليه: أن أعطها حكمها فانطلقت بهم إلى بحيرة موضع مستنقع ماء فقالت: أنضبوا هذا الماء فانضبوه فقالت: احتفروا فاحتفروا فاستخرجوا عظام يوسف فلما أقلوها إلى الأرض وإذا الطريق مثل ضوء النهار) ومعنى عظامه جسده.لأن العرب تطلق العظام على البدن.أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٥٠٠) ٧٢٣و أبو يعلى في مسنده (١٣/ ١٨٩) ٧٢٥٤ هو صحيح.

أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من ذرية العيص بن إسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكان أيوب رجلا كثير المال من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي، وكان في حوران من أرض الشام. وكان له أولاد وأهلون كثير، وقد آتاه الله النبوة بشريعة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد ابتلاه الله في جسده وسلب كل شيء الأولاد، والأموال، ابتلاه الله بأنواع البلاء، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله عز وجل بهما.

وهو في ذلك كله صابر محتسب ذاكر لله عز وجل في ليله ونهاره، وصباحه ومسائه، وطال مرضه حتى عافه من حوله، وانقطع عنه الناس، ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته فكانت تصلح من شأنه، وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته، وكانت تخدم الناس بالأجر لتطعمه، وتقوم عليه.

ولم يزد هذا كله أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلا صبرًا واحتسابًا، وتسليمًا، وحمدًا وشكرًا.

وقد لبث في بلائه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا

رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به، فلما راح إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدرى ما تقول، غير أن الله يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله وأرجع بيتي فأكفِّر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق.

وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن اضرب الأرض برجلك فامتثل ما أمر به فأنبع الله له عينًا باردة الماء، وأمر أن يغتسل فيها، ويشرب منها، فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى والسقم والمرض، الذي كان في جسده ظاهرًا وباطنًا، وأبدله الله بعد ذلك كله صحة ظاهرة وباطنة، وجمالا تامًا،

فاستبطأته زوجته، فبلغت مكانه، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء فهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟ والله ما رأيت أحدًا كان أشبه به منك

إذ كان صحيحًا قال: إني أنا هو فكشف الله المرض عن أيوب بعد دعاء وتضرع وإنابة، ورد الله عليه ماله وولده بأعيانهم ومثلهم معهم. وأوحى الله إليه: قد رددت عليك أهلك ومالك، ومثلهم معهم.

وكان له مخزنان، مخزن القمح ومخزن الشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على مخزن القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى على مخزن الشعير الفضة حتى فاض[١].

و بينا أيوب يغتسل عريانًا فخر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحتثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى وعزتك ولكن لا غنى بي عن بركتك[٢].

فرفع الله عنه شدته، وكشف ما به من ضر رحمة منه به ورأفة وإحسانًا، وفي ذلك تذكرة لمن ابتلي في جسده أو ماله أو ولده فله

---

(١) المستدرك (٢/ ٦٣٥) ٤١١٥وصحيح ابن حبان (٧/ ١٥٧) ٢٨٩٨ومسند أبي يعلى (٦/ ٢٩٩) ٣٦١٧ومسند البزار (١٣/ ٢٨) ٦٣٣٣ عن أنس عن النبي ﷺ وهو صحيح.

(٢) صحيح البخاري ٢٧٩عن أبي هريرة عن النبي ﷺ

أسوة بنبي الله أيوب، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك، فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه.

وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بأرض الروم على دين الحنيفية، ثم غيروا بعده دين إبراهيم، وكان عمره لما توفي ثلاثًا وتسعين سنة.

***

يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعث الله يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، إلى أهل نينوى من أرض الموصل في العراق فدعاهم إلى الله عز وجل، وكانوا يعبدون الأصنام فنهاهم عن عبادتها وأمرهم بالتوبة إلى الله من كفرهم وأمرهم بالتوحيد فكذبوه وتمردوا، وبقوا على كفرهم وعنادهم، فلما طال ذلك عليه من أمرهم، خرج من بين أظهرهم، ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث.

فخرج من بلاده غاضبًا عليهم مستعجلا ولم يستأذن الله تعالى بالخروج، وكان يظن أن الله لن يضيق عليه، فركب سفينة في البحر، فلجت بهم واضطربت، وماجت بهم وثقلت بما فيها، وكادوا يغرقون، فتشاوروا فيما بينهم على أن يقترعوا، فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة: ليتخففوا منه، فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلم يسمحوا به، فأعادوها ثانية فوقعت عليه أيضًا، فشمر ليخلع ثيابه ويلقي بنفسه، فأبوا عليه ذلك، ثم أعادوا القرعة ثالثة فوقعت عليه، لما قضاه الله

وقدّره، فرمى نفسه في البحر فبعث الله، عز وجل، حوتًا عظيمًا من البحر فالتقمه، وأمره الله تعالى: أن لا تأكل له لحمًا، ولا تهشم له عظمًا، فليس لك برزق، ولما استقر في جوف الحوت، حسب أنه قد مات، فحرك جوارحه فتحركت، فإذا هو حي، فخر لله ساجدًا، وكان في ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، فدعا ربه وهو في الظلمات اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. وكان يكثر من التسبيح لله رب العالمين في ظلمات البحر، فأمر الله الحوت فطرحه في العراء وأنبت الله عليه اليقطينة، وهي شجرة الدباء. وكان ضعيف البدن، كهيئة الفرخ، الذي ليس عليه ريش، وهذا من رحمة الله به، ونعمته عليه، وإحسانه إليه.

وأما قوم يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه لما خرج يونس من بينهم وتحققوا نزول العذاب بهم، قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم، فلبسوا المسوح، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها، ثم لجئوا إلى الله عز وجل بالدعاء، وتضرعوا إليه، وتمسكنوا لديه، وبكى الرجال والنساء، والبنون والبنات، والأمهات، وجأرت الأنعام والدواب والمواشي، ورغت الإبل وفصلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحملانها،

وكانت ساعة عظيمة هائلة، فكشف الله العظيم، بحوله وقوته، ورأفته ورحمته، عنهم العذاب.

وقد كانوا مائة ألف ويزيدون عشرين ألفًا، فنفعهم إيمانهم لما آمنوا، وتاب الله عليهم.

ثم إن الله تعالى اجتبى يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ فجعله من الصالحين ثم أمره أن يأتي قومه ويخبرهم أن الله قد تاب عليهم فعمد إليهم حتى لقي راعيًا فسأله عن قوم يونس وعن حالهم وكيف هم، فأخبره أنهم بخير وأنهم على رجاء أن يرجع إليهم رسولهم فجاءهم يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ فأمنوا به وصدقوه.

وحج يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بيت الله الحرام على ناقة حمراء عليه جبة صوف خطام ناقته الليف، مارًا بوادي الأزرق ملبيًا[١].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى**»[٢].

***

(١) صحيح مسلم ٤٣٩ عن ابن عباس عن رسول الله -ﷺ.

(٢) صحيح البخاري ٣٤١٦.

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم من أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكًا فقال بعضهم: إن بني إسرائيل لينتظرون ذلك ما يشكون فيه وقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا: ليس كذلك إن الله عز وجل وعد إبراهيم قال فرعون: فكيف ترونه؟ فائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالًا معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولودًا ذكرًا إلا ذبحوه، ففعلوا ذلك فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم، والصغار يذبحون، قالوا: يوشك أن تفنوا بني إسرائيل فتصيرون إلى أن تباشروا من الأعمال التي كانوا يكفونكم فاقتلوا عامًا كل مولود ذكر، فيقل نباتهم ودعوا عامًا فلا يقتل منهم أحد، فينشأ الصغار مكان من يموت من الكبار فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم إياكم ولن يفنوا بمن تقتلون فتحتاجون إلى ذلك فأجمعوا أمرهم على ذلك.

فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان

فولدته علانية آمنة فلما كان من قابل حملت بموسى فوقع في قلبها الهم والحزن – وفتن الله موسى وهو في بطن أمه مما دخل في قلب أمه من الهم والحزن عليه فألهمها الله تبارك وتعالى إليها ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(١) وأمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم فلما ولدت فعلت ذلك به فلما توارى عنها ابنها، أتاها الشيطان فقالت في نفسها: ما صنعت بابني لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إليَّ من أن ألقيه بيدي إلى دواب البحر وحيتانه؟ فانتهى الماء به حتى انتهى به مكان مستقى جواري امرأة فرعون فلما رأينه أخذنه فهممن أن يفتحن التابوت فقال بعضهن: إنَّ في هذا مالا، وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدناه فيه فحملنه بهيئته لم يحركن منها شيئًا حتى دفعنه إليها، فلما فتحته رأت غلامًا فألقي عليه منها محبة لم تجد مثلها على أحد من البشر قط فأصبح فؤاد أم موسى فارغًا من ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى، فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه .

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧.

فقالت لهم: اتركوه فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آتي فرعون فأستوهبه منه فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم ألمكم فأتت به فرعون فقالت: قره عين لي ولك، قال فرعون: يكون لك فأما لي فلا حاجة لي في ذلك،

قال رسول الله ﷺ: «والذي أحلف به لو أقر فرعون بأن يكون له قرة عين كما أقرت امرأته لهداه الله به كما هدى امرأته ولكن حرمه ذلك فأرسلت إلى من حولها من كل امرأة لها لبن لتختار له مرضعًا، فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت عليه امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك.

فأخرج إلى السوق ومجمع الناس ترجو أن تجد له مرضعًا يأخذ منها فأصبحت أم موسى والهة، فقالت لأخته: قصي أثره، واطلبيه، هل تسميعن له ذِكرًا؟ أحيٌّ ابني أم قد أكلته الدواب؟ ونسيت ما كان الله وعدها فيه فبصرت به أخته عن مكان قريب منها، وكانت ترفع بصرها إلى شيء بعيد .

فقالت من الفرح حين لم يجدوا له مرضعة: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها فقالوا: ما يدريك ما نصحهم له؟ هل تعرفونه؟ حتى شكوا في أمرها.

فقالت: نصيحتهم له وشفقتهم عليه رغبة في صهر الملك ورجاء منفعته فأرسلوها فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر فجاءت أمه فلما وضعته في حجرها التقم ثديها حتى شبع.

وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يبشرها أن قد وجدنا لابنك مرضعة، فأرسلت إليها فأتيت بها وبه، فلما رأت ما يصنع بها قالت لها: امكثي عندي ترضعين ابني هذا فإني لم أحب حبه شيئًا قط فقالت أم موسى: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فنضيع فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرًا، وإلا فإني غير تاركة بيتي وولدي وذكرت أم موسى ما كان الله عز وجل وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله منجز وعده فرجعت إلى بيتها بابنها، فأصبح أهل القرية مجتمعين يمتنعون من السخرة والظلم ما كان فيهم.

قال: فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى: أريد أن تريني ابني فوعدتها يومًا تريها إياه فقالت امرأة فرعون لمن حولها من الخدم والأعوان: لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك فيه وأنا باعثة أمينًا يحصي كل ما يصنع كل إنسان منكم فلم تزل الهدايا والكرامة والعطايا تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن أدخل على امرأة فرعون، فلما دخل عليها بجلته وأكرمته وفرحت به وأعجبها وبجلت أمه بحسن أثرها عليه، ثم قالت: لأتين به فرعون فليبجلنه وليكرمنه فلما دخلت عليه جعلته في حجرة فتناول موسى لحية فرعون فمدها إلى الأرض، فقال الغواة أعداء الله لفرعون: ألا ترى إلى ما وعد الله إبراهيم نبيه أنه يربك ويعلوك ويصرعك؟ ! فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون.

فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون فقالت: ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي؟ قال: ترينه يزعم أنه يصرعني ويعلوني قالت: اجعل بيني وبينك أمرًا تعرف الحق فيه: أئت بجمرتين

ولؤلؤتين فقربهن إليه فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين، ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحدًا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل، فقرب ذلك فتناول الجمرتين فانتزعوهما من يده مخافة أن تحرقاه فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعدما كان قد هم به وكان الله عز وجل بالغًا فيه أمره [(١)].

بلوغ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الأشد وقتله القبطي:

فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سُخرة حتى امتنعوا كل الامتناع.

فبينما موسى في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان أحدهما فرعوني والآخر إسرائيلي فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني

(١) مسند أبي يعلى (٥/ ١٠) ٢٦١٨وسنن النسائي الكبرى (٦/ ٣٩٦) ١١٣٢٦قال الحافظ في الفتح إسناده حسن وقال البوصيري في إتحاف الخيرة هذا إسناد صحيح وهذا الحديث يسمى حديث الفتون، وسأنقل أجزاء منه خلال قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو عن ابن عباس يرفعه إلى النبي ﷺ.

فغضب موسى غضبًا شديدًا لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم، لا يعلم الناس إلا أنه من الرضاع، إلا أم موسى فقد أطلعها الله على ما لم يطلع عليه غيرها.

فوكز موسى الفرعوني فقتله وليس يراهما أحد إلا الله والإسرائيلي، فقال موسى حين قتل الرجل: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ ثم قال: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(١).

وأصبح في المدينة خائفًا يترقب الأخبار فأُتي فرعون فقيل له: إن بني إسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا حقنا ولا ترخص لهم.

فقال: ابغوني قاتله ومن يشهد عليه حتى آخذ لكم بحقكم.

فبينما هم يطوفون لا يجدون شاهدًا. إذ موسى قد رأى من الغد ذلك الإسرائيلي يقاتل رجلا من آل فرعون آخر فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فصادف موسى قد ندم على ما كان منه

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٦.

فكره فعل الإسرائيلي، وهو يريد أن يبطش بالفرعوني فقال موسى للإسرائيلي: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾(١).

فنظر الإسرائيلي إلى موسى حين ما قال له ما قال، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس، فخاف أن يكون موسى يريد قتله فقال الاسرائيلي ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾(٢) وتنازعا وتطاوعا، وانطلق الفرعوني إلى قومه فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى فأخذ رسل فرعون الطريق الأعظم يمشون على هيئتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون أن يفوتهم إذ جاء رجل مؤمن من آل فرعون من أقصى المدينة فاختصر طريقًا قريبًا حتى سبقهم إلى موسى فأخبره الخبر وذلك من الفتون الذي فُتن به قلب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ(٣).

خروج موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى أرض مدين

خرج موسى من مصر وحده لما أخبره الرجل بما تمالأ عليه

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٨.

(٢) سورة القصص، الآية: ١٩.

(٣) جزء من حديث الفتون، وقد سبق أوله.

فرعون ودولته في أمره، خرج ولم يألف ذلك قلبه، بل كان في رفاهية ونعمة ورئاسة، خرج منها خائفًا لا يتلفت قال رب نجني من فرعون وملئه وتوجه نحو مدين ولم يلق بلاء قبل ذلك، وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه عز وجل، خرج وهو في حالة من الخوف والذعر فالتجأ إلى الله واستسلم بين يديه وخرج هائمًا على وجهه فكان مسيره في طريق يؤدي إلى أرض مدين، لقد توجه بقلبه إلى ربه، بنفس مستسلمة له، متطلعة إلى هداه.

لقد استسلم لخالقه فهو هاديه وحافظه وناصره ومؤيده، مشى عبر الصحراء في مسافة طويلة يأكل ورق الشجر ونبات الأرض، يلتفت يخشى الطلب، ويخاف من الرصد، إلا أن استسلامه لله تعالى أذهب ما كان يجده من طبيعته البشرية، لقد سار مسافة ألف وثلاثمائة وثمان وستين كيلا تقريبًا وحيدًا، فقد ألهمه الله، معرفة الطريق فلم يضل في سيره، فهو في معية الله يسير، وينزل ويبيت.

حتى وصل أرض مدين، فرأى في مدين منظرًا يستوجب منه النجدة والنخوة والمروءة والمعروف، ولم يمنعه أنه غريب في أرض

لا يعرفها، ليس له فيها سند ولا ظهير. ولم يمنعه أنه قادم من سفر طويل بلا زاد ولا استعداد. وجد على الماء جماعة من الناس يسقون، ووجد من دونهم امرأتين حابستين غنمهما ـ فقال لهما ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس؟

قالتا: ليس لنا قوة نزاحم القوم وإنما ننتظر فضول حياضهم، فسقى لهما فجعل يغرف في الدلو ماء كثيرًا حتى كان أول الرعاء فراغًا فانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما، فاستنكر أبوهما سرعة صدروهما بغنمهما حفلا بطانًا فقال: إن لكما اليوم لشأنًا فأخبرتاه بما صنع موسى.

إن نفس موسى التي صنعت على عين الله. قادته إلى فعل الخير والمعروف، ولم يطلب من أحد ثناء ولا جزاء ولا شكورًا، وانصرف موسى إلى ظل شجرة ليستريح من عناء السفر، فلم يمنعه العناء والتعب أن يعلن ضعفه وفقره إلى ربه فيستسلم بين يديه، حيث أنجاه الله وسلمه، ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ

فَقِيرٌ ﴾(١). في شدة الحر، وقلة الحال، وشدة الكرب يسأل ربه فضله وكرمه فهو الفقير المحتاج. تحت ظل شجرة غريب طريد ليس له حمى يأوي إليه وليس عنده طعام يطعمه، وهو أكرم خلقه عليه ولقد كان افتقر إلى شق تمرة ولقد أصابه الجوع حتى لزق بطنه بظهره (٢).

فجاء الفرج بأقل من لمح البصر فقد أمر الأب إحدى ابنتيه أن تدعوه فأتت موسى، في ثياب الحياء والحشمة والعفة مستترة بكم قميصها على وجهها وواضعة يديها على وجهها (٣).

وكان لما أقبلت عليه وعلم أنها امرأة خفض رأسه ولم يرفعه ولم ينظر إليها حتى بلغته رسالة أبيها ثم قال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، فرأت المرأة من أمانته وعفته(٤).

فجاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مسرعًا، لأنه في حاجة إلى الأمن؛ كما كان

---

(١) سورة القصص، الآية: ٢٤.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٧٤) ٣٤٣٠٠و الزهد الكبير (ص: ١٨٤) ٤٤٢ عن ابن عباس وهو صحيح.

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٨/ ٢١٨) عن عمر بن الخطاب.

(٤) جزء من حديث الفتون، وقد سبق أوله.

في حاجة إلى الطعام والشراب. ولكن حاجة نفسه إلى الأمن كانت أشد، وسارع ببث خبره للشيخ الكبير، وكان اسمه يثرى[١]. فرد عليه مطمئنًا له، لا تخف، فألقى في قلبه الطمأنينة بهذه الكلمة، وأشعره بالأمان. ثم قال: نجوت من القوم الظالمين، فلن يصلوا إليك بأذى ولا ضرر، لأنه ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا في مملكته.

فقالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين فقد رأت من قوته حين سقى لهما فلم تر رجلًا أقوى منه في السقي، وأما أمانته فلغضه بصره وأمرها أن تكون خلفه، فقال له: هل لك أن أزوجك إحدى ابنتي هاتين على أن تخدمني ثماني حجج فإن أتممت عشرًا فمن عندك، وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين، وبقي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في مدين يرعى الغنم[٢]، ويخدم يثرى مدة عشر سنين، فقضى تلك المدة بتوفيق الله له وإعانته.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٨/ ٢٢٣) عن ابن عباس وسنده صحيح وهو صاحب مدين.

(٢) عن عبدة بن حزن يقول تفاخر أهل الإبل وأصحاب الشاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بعث موسى وهو راعى غنم وبعث داود وهو راعى غنم وبعثت أنا وأنا أرعى غنما لأهلي بأجياد) الأدب المفرد (ص: ٢٠٢) ٥٧٧.
قال الشيخ الألباني: صحيح

وكانت تلك الفترة التي قضاها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في أرض مدين من تربية وإعدادًا وتهيئة له لتكليف الرسالة.

ارتحال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أرض مدين وبعثه بالرسالة:

كان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد اشتاق إلى بلاده وأهله، فعزم على زيارتهم في خفية من فرعون وقومه، واستأذن صهره يثرى، وحمل أهله، وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره، فسلك بهم في ليلة مطيرة مظلمة باردة، فنزل منزلًا فجعل كلما أراد أن يشعل نارًا لم يستطع، فتعجب من ذلك، فبينما هو كذلك إذ رأى نارًا تضيء له على بعد، فقال لأهله امكثوا، حتى أذهب إليها، لعلي أجد عندها خبرًا عن الطريق، أو آتيكم بقطعة من النار لعلكم تتدفؤون بها من البرد.

فوجد النار تضطرم في شجرة خضراء من العوسج في جانب الجبل مما يلي الوادي، فوقف متعجبًا في أمرها، فناداه ربه وكلمه في البقعة المباركة من الشجرة.

كلمه ربه أنه لا إله إلا هو رب العالمين جميعًا فأنا المعبود الذي لا

تصلح العبادة إلا له، لا إله إلا أنا فلا تعبد غيري، فإنه لا معبود بحق غيري، وأمره الله تعالى بخلع نعليه تعظيمًا منه لذلك المكان الذي سيسمع فيه كلام الله.

فقد اختاره الله تعالى واصطفاه بالرسالة إلى فرعون وقومه، وأيده بالمعجزات الباهرات دليلا على صدقه.

فشكا إلى ربه تبارك وتعالى ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقد لسانه فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعنيه بأخيه هارون يكون له ردءًا ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه.

وأمره تعالى بأن يلقي عصاه التي بيده فإذا هي حية عظيمة تسعى، فخاف موسى منها فأوحى الله إليه أن يأخذها، فكانت عصًا كما هي من قبل.

وأمره الله تعالى أن يدخل يده في جيبه ثم يخرجها، فخرجت تتلألأ كأنها قمر من البياض، وتلك معجزة أخرى.

وآتاه الله سؤله، فحل عقدة لسانه، وشدَّ الله عضده بأخيه هارون، فأوحى الله إلى هارون، وأمره أن يلقاه، فاندفع موسى

بعصاه حتى لقي هارون فانطلقا جميعًا إلى فرعون، وأمرهما الله بذكره، ليكون ذكر الله عونًا لهما على فرعون، وقوة لهما وسلطانًا كاسرًا له.

وأيده الله تعالى بسلطان من عنده، وأمر الله موسى وهارون بملاطفة فرعون واللين معه في القول وهو في غاية العتو والاستكبار، لأن الكلام الرقيق اللين القريب السهل، يكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع في الدعوة والقبول، فلعل فرعون يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة.

وجاء موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون فأقاما على بابه زمنًا طويلا، لا يؤذن لهما، ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ فقال فرعون: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ فأخبراه بأن الله جلَّ وعلا، الذي خلق الخلق وهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

فأراد فرعون أن يحاج موسى بما حصل للقرون الماضية الذين كانوا على ملة فرعون، ما هي حالهم، هل هم على ضلالة؟

فتجنب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الخوض في هذا، وأوكل علم ذلك إلى الله تعالى.

وطلب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من فرعون أن يطلق بني إسرائيل من أسره وقبضته وقهره وتعذيبه، فهم في عذاب مهين.

فلما قال له موسى ذلك أعرض فرعون عن ذلك، ونظر إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعين الازدراء والاحتقار فقال: أليس أنت الذي ربيناه فينا، وفي بيتنا وعلى فراشنا وغذيناه، وأنعمنا عليه مدة من السنين، فقابلت ذلك الإحسان بتلك الفعلة، أن قتلت منا رجلا وجحدت نعمتنا عليك.

فرد عليه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أني فعلت ذلك قبل أن يوحى إليَّ، وينعم الله عليَّ بالرسالة والنبوة.

فقد أرسلني الله إليك، فإن أطعته سلمت، وإن خالفته هلكت.

وما إحسانك إليَّ وتربيتي مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل، فجعلتهم عبيدًا وخدمًا، تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيتك، فإحسانك إلى رجل واحد منهم لا يساوي ما أسأت إليهم جميعًا.

وقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إني أريد أن تؤمن بالله، وترسل معي بني

إسرائيل فأبى عليه فرعون ذلك وقال: أئت بآية إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي حية عظيمة فاتحة فاها مسرعة إلى فرعون، فلما رآها فرعون قاصدة إليه خافها فاقتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل، ثم أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير برص ثم ردها فعادت إلى لونها الأول.

فاستشار الملأ حوله فيما رأى فقالوا له: اجمع لهما السحرة فإنهم بأرضك كثير حتى يغلب سحرهم سحرهما. فأرسل في المدينة فحشر له كل ساحر متعالم فلما أتوا فرعون قالوا: بم يعمل هذا الساحر؟ قالوا: يعمل بالحيات قالوا: فلا والله ما أحد في الأرض يعمل السحر بالحيات والعصي الذي نعمل فما أجرنا نحن إن غلبنا؟ فقال لهم: إنكم أقاربي وخاصتي فأنا صانع إليكم كل ما أحببتم فتواعدوا يوم الزينة، وهو يوم عاشوراء، فلما اجتمعوا في صعيد قال الناس بعضهم لبعض: انطلقوا فلنحضر هذا الأمر لعلنا نتبع موسى و هارون استهزاء بهما.

فقال السحرة : يا موسى لقدرتهم بسحرهم، إما أن تلقي بما

لديك وإما أن نلقي ما لدينا قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: بل ألقوا فألقوا ما بأيديهم من الحبال والعصي وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون.

فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خفية فأوحى الله تبارك وتعالى إليه ﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فلما ألقاها صارت ثعبانًا عظيمًا فاتحة فاها تبتلع كل ما أمامها من العصي والحبال فما أبقت عصًا ولا حبلا إلا ابتلعته فلما عرف السحرة ذلك قالوا: لو كان هذا سحرًا لم يبلغ من سحرنا هذا، ولكنه أمر من أمر الله تبارك وتعالى آمنا بالله وبما جاء به موسى ونتوب إلى الله عز وجل مما كنا عليه وكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه وأظهر الحق، وبطل ما كانوا يعملون، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين.

وكانت امرأة فرعون بارزة متبذلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون فمن رآها من آل فرعون ظن أنها ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه وإنما كان حزنها وهمها لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (١).

فلما طال مكث موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمواعيد فرعون الكاذبة، كلما

---

(١) جزء من حديث الفتون، وقد سبق أوله.

جاءه بآية وعده عندها أن يرسل بني إسرائيل فإذا مضت أخلف مواعيده وقال: هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا؟ فتمردوا وعتوا، وعاندوا الحق وأصروا على الباطل.

فأرسل الله عليه، وعلى قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات. فكان الماء يسيح في الأرض فيغمر جهات كثيرة ويطغى على المنازل والمزارع، وكان الجراد يأكل الورق والسنبل وورق الشجر وقشره، فهلكت الزروع، وكان القُمل يمتص دم الإنسان، ويقع في أطعمتهم، وكانت الضفادع تقع في طعامهم في القدور، ويقع في العيون والأسقية وفي البيوت فيفسد ما يقع فيه، وتطؤه أرجل الناس فتتقذر به البيوت. وصارت مياههم كالدم في اللون، فكانوا إذا استقوا من الأنهار والآبار، وجدوه دمًا متجمدًا.

كل ذلك يشكون إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ويطلبون إليه أن يكفها عنهم ويوافقه أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا كف ذلك عنهم أخلف موعده ونكث عهده حتى أمر بالخروج بقومه.

حال امرأة فرعون:

كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها فكانت ترى بيتها من الجنة [١] وكان فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها، فكان إذا تفرقوا عنها ظللتها الملائكة فقالت: ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فكشف لها عن بيتها في الجنة [٢].

وهي مما كمل من النساء [٣] وهي من أفضل نساء أهل الجنة [٤] مع خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، واسمها آسية بنت مزاحم.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٢٠) ٣٤٦٥٦ عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وله حكم المرفوع وهو صحيح.

(٢) مسند أبي يعلى (١١/ ٣١٦) ٦٤٣١ عن أبي هريرة وهو صحيح وله حكم المرفوع.

(٣) صحيح البخاري ٣٤١١عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ.

(٤) مسند أحمد ط الرسالة (٤/ ٤٠٩) ٢٦٦٨ عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ وهو صحيح.

ماشطة بنت فرعون:

كانت ماشطة بنت فرعون تمشط ابنة فرعون ذات يوم، إذ سقطت المدري من يديها، فقالت: بسم الله. فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله. قالت: أخبره بذلك قالت: نعم. فأخبرته فدعاها، فقال: يا فلانة، وإن لك ربًا غيري؟ قالت: نعم، ربي وربك الله. فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها، قالت له: إن لي إليك حاجة. قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد، وتدفننا. قال: ذلك لك علينا من الحق ". قال: " فأمر بأولادها فألقوا بين يديها، واحدًا واحدًا، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع، كأنها تقاعست من أجله، قال: يا أمه، اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقتحمت [1].

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٥/ ٣٠) ٢٨٢١ وصحيح ابن حبان (٧/ ١٦٣) ٢٩٠٣ عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ لما كانت الليلة التي أسري بي فيها، أتت علي رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل، ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها. وساق الحديث وهو حسن.

حال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبني إسرائيل:

أمر الله تعالى موسى وأخاه هارون، عليهما السلام أن يتخذا لقومهما بمصر بيوتًا.

ويتخذوها مساجد، ويصلوا في بيوتهم.

وذلك لما اشتد بهم البلاء من قبل فرعون وقومه، وضيقوا عليهم، فأمروا بكثرة الصلاة.

ودعا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على فرعون وملئه، لما أبوا قبول الحق واستمروا على ضلالهم وكفرهم معاندين جاحدين، ظلمًا وعلوًا وتكبرًا وعتوًا.

خروج موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ببني إسرائيل:

خرج موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ببني إسرائيل ليلا، فلما أصبح فرعون، ورأى أنهم قد مضوا أرسل إلى المدائن حاشرين يتبعهم بجنود عظيمة كثيرة، فأوحى الله إلى البحر: أن إذا ضربك عبدي موسى بعصاه فانفرق اثني عشر فرقًا، حتى يجوز موسى ومن معه ثم التق على من بقي بعده من فرعون وأشياعه، فنسي موسى أن يضرب

البحر بالعصا فانتهى إلى البحر وله صوت هائل كصوت الرعد مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصيًا.

فلما تراءى الجمعان وتقاربا قال قوم موسى إنا لمدركون، فقال موسى بإيمان ويقين إن معي ربي سيهدين ففعل ما أمره ربه فقال موسى: وعدني ربي إذا أتيت البحر أن يفرق لي اثني عشر فرقًا حتى أجاوزه، فضرب البحر بعصاه فانفرق له حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر موسى فانفرق البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى فلما أن جاوز موسى وأصحابه كلهم ودخل فرعون وأصحابه التقى عليهم كما أمر الله.

فلما جاوز موسى البحر قالوا: إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق فلا نؤمن بهلاكه فدعا ربه فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا بهلاكه (١).

وكان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يأخذ من طين البحر فيدسه في فيّ فرعون مخافة أن تدركه الرحمة (٢).

---

(١) جزء من حديث الفتون، وقد أجزاء منه.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٤/ ٨٢) ٢٢٠٣ ومسند الطيالسي (٤/ ٣٤٤) ٢٧٤٠ عن ابن

بنوا إسرائيل يطلبون من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مرَّ بنوا إسرائيل على قوم يعكفون على أصنام لهم: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[1] فقد رأيتم من العبر، وسمعتم ما يكفيكم، فقد رأوا من الآيات الباهرة والأدلة القاهرة على يد موسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ في بلاد مصر وما كان من إهلاك عدو الله فرعون وجميع جنوده في اليم، فذكرهم موسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ بنعمة الله عليهم، من إنقاذهم من أسر فرعون وقهره، وما كانوا فيه من الهوان والذلة، وما صاروا إليه من العزة وقرة أعينهم من عدوهم، والنظر إليه في حال هوانه وهلاكه، وغرقه ودماره.

وتعجب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من طلبهم أن يجعل لهم إلهًا غير الله، والله سبحانه وتعالى هو الذي أنجاهم ونصرهم وأيدهم.

عباس، عن رسول الله ﷺ وهو حسن.

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٣٨، ١٣٩.

ومضى فأنزلهم موسى منزلا، ثم قال لهم: أطيعوا هارون فإني قد استخلفته عليكم وإني ذاهب إلى ربي وأجلهم ثلاثين يومًا أن يرجع إليهم.

رحلة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للقاء الخضر:

قام موسى النبي خطيبًا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن عبدًا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال يا رب وكيف به فقيل له احمل حوتًا في مكتل، فإذا فقدته فهو ثَمَّ، فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون، وحملا حوتًا في مكتل، حتى كانا عند الصخرة وضعا رءوسهما وناما فانسل الحوت من المكتل، فاتخذ سبيله في البحر سربًا [1] وكان لموسى وفتاه عجبًا فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما، فلما أصبح قال موسى لفتاه ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [2] ولم يجد موسى مسًا من النصب، حتى جاوز

(١) أي صار طريقه يابسًا في البحر فما يمر به يتجمد حتى اتبع موسى طريقه.

(٢) تعبًا.

المكان الذي أمر به فقال له فتاه، أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان، قال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصًا، فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجل تسجى بثوبه فسلم موسى فقال الخضر وأنّى بأرضك السلام، فقال أنا موسى فقال موسى بني إسرائيل قال نعم قال موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدًا، قال إنك لن تستطيع معي صبرًا، يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه لا أعلمه، قال ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهما فعرف الخضر فحملوهما بغير نول [1] فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر فقال الخضر يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه فقال موسى قوم حملونا بغير نول

---

(١) اجرة.

عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا قال لا تؤاخذني بما نسيت، فكانت الأولى من موسى نسيانًا فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده فقال موسى أقتلت نفسًا زكية بغير نفس، قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض فأقامه، قال الخضر بيده فأقامه فقال له موسى لو شئت لاتخذت عليه أجرًا قال هذا فراق بيني وبينك][1].

فأخذ موسى بطرف ثوبه، فقال: حدثني، فقال: أما السفينة، فكانت لمساكين يعملون في البحر، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا، فإذا مر عليها، فرآها منخرقة، تركها، ورقعها أهلها بقطعة خشبة، فانتفعوا بها، وأما الغلام، فإنه كان طبع يوم طبع كافرًا، وكان قد ألقي عليه محبة من أبويه، ولو أطاعاه، لأرهقهما طغيانًا وكفرًا، فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا،

---

(١) صحيح البخاري ١٢٢ عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ، قال النبي ﷺ يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما.

ووقع أبوه على أمه، فعلقت، فولدت منه خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحًا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا}[١].

قصة البقرة:

كانت مدينتان في بني إسرائيل إحداهما حصينة ولها أبواب، والأخرى خربة فكان أهل المدينة الحصينة إذا أمسوا أغلقوا أبوابها، وإذا أصبحوا قاموا على سور المدينة فنظروا، هل حدث فيما حوله حدث؟ فأصبحوا يومًا فإذا شيخ قتيل مطروح بأصل مدينتهم، فأقبل أهل المدينة الخربة فقالوا: أقتلتم صاحبنا؟

وابن أخ له شاب يبكي عنده ويقول: قتلتم عمي قالوا: والله ما فتحنا مدينتنا منذ أغلقناها وما ندينا من دم صاحبكم هذا بشيء فأتوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فأوحى الله عز وجل إلى موسى ﷺ: «إن الله

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣٥/ ٥٢)٢١١١٨.

يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي» لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها لكنهم شددوا فشدد الله عليهم» (١).

وكان في بني إسرائيل غلام شاب يبيع في حانوت له، وكان له أب شيخ كبير، فأقبل رجل من بلد آخر يطلب سلعة له عنده فأعطاه بها ثمنًا فانطلق معه ليفتح حانوته فيعطيه الذي طلب والمفتاح مع أبيه فإذا أبوه نائم في ظل الحانوت، فقال أيقظه فقال: والله إن أبي لنائم كما ترى وإني أكره أن أروعه من نومه فانصرفا، فأعطاه ضعف ما أعطاه فعطف على أبيه فإذا هو أشد ما كان نومًا، فقال: أيقظه قال: لا والله لا أوقظه أبدًا ولا أروعه من نومه، قال: فلما انصرف وذهب طالب السلعة استيقظ الشيخ فقال له ابنه: يا أبتاه والله لقد جاء هاهنا رجل يطلب سلعة كذا وكذا فكرهت أن أروعك من نومك، فلامه الشيخ، فعوضه الله من بره لوالده أن نتجت بقرة من بقره تلك البقرة التي يطلبها بنو إسرائيل، فأتوه

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢/ ٩٨) عن ابن عباس وهو صحيح.

فقالوا: بعناها، فقال: لا أبيعكموها، قالوا: إذن نأخذها منك، قال: إن غصبتموني سلعتي فأنتم أعلم، فأتوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: اذهبوا فأرضوه من سلعته، فقالوا: حكمك؟ قال: حكمي أن تضعوا البقرة في كفة الميزان وتضعوا ذهبًا صامتًا في الكفة الأخرى، فإذا مال الذهب أخذته، قال: ففعلوا وأقبلوا بالبقرة حتى أتوا بها إلى قبر الشيخ وهو بين المدينتين، واجتمع أهل المدينتين وابن أخيه عند قبره يبكي، فذبحوها فضرب ببضعة من لحمها القبر، فقام الشيخ ينفض رأسه يقول: قتلني ابن أخي طال عليه عمري وأراد أخذ مالي، ومات»[١].

سؤال بني إسرائيل أن يروا الله علانية:

سأل بنو إسرائيل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يريهم الله جهرة، فأخبرهم أنهم لن يطيقوا ذلك، وكان منهم ذلك تعنتًا وتكذيبًا وعنادًا، فصعقوا بظلمهم أنفسهم، وظلمهم أنفسهم كان مسألتهم موسى

(١) من عاش بعد الموت لابن أبي الدنيا (ص: ٤٨) ٥٥ وتاريخ دمشق لابن عساكر (٦١/ ١٦٤) عن ابن عباس وسنده حسن وله حكم الرفع.

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يريهم ربهم جهرة، لأن ذلك مما لم يكن لهم مسألته. فبعثهم الله من صعقتهم وأحياهم بعد ما أماتهم.

ذهاب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لميقات ربه:

ذهب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى الطور لميقات ربه، وقد كان في شهر ذي القعدة، وتمت العشر بذي بعشر ذي الحجة.

فلما أتى ربه، وأراد أن يكلمه في ثلاثين وقد صامهن: ليلهن ونهارهن كره أن يكلم ربه، ويخرج من فمه ريح فم الصائم فتناول موسى شيئًا من نبات الأرض فمضغه فقال له ربه حين أتاه: أفطرت؟ - وهو أعلم بالذي كان - قال: رب كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب الريح قال: أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب من ريح المسك؟ ارجع حتى تصوم عشرًا ثم ائتني ففعل موسى ما أمر به (١) وسأل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربه أن ينظر إليه فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾(٢) لأن المخلوق في

(١) جزء من حديث الفتون، وقد سبق أجزاء منه.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

الدنيا لا يستطيع رؤية الله تعالى، والأبصار لا تتحمل ذلك، ولهذا ضرب الله له مثلاً فقال: انظر إِلى الجَبل، فلما رأى الجبل النور، انهد وصار رملًا، فقد عجز الجبل عن أن يقاوم هذه الرؤية العظيمة، واندك، فأغمي على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لأنه رأى أمرًا هائلًا لم تتحمله نفسه: فَلَمَّا أَفاق سبح ربه ونزهه أن يحيط به أحدٌ وهو أعظم من كل شيء.

وقد فتح للجبل من حجاب الله قدر الخنصر [1] فصار مساويًا للأرض، فالله سبحانه أراد أن يُري موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من كمال عظمته وجلاله ما يعلم به أن القوة البشرية في هذه الدار لا تثبت لرؤيته ومشاهدته عيانًا فهذا الجبل صار دكًا.

اتخاذ بني إسرائيل العجل:

لما رأى قوم موسى أنه لم يرجع إليهم للأجل ساءهم ذلك وكان هارون قد خطبهم فقال: إنكم خرجتم من مصر وللقوم

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١٩/ ٢٨١) ١٢٢٦٠ عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ وهو صحح وفي صحيح مسلم ٤٦٣عن أبى موسى قال قال رسول الله ﷺ حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه).

عواري، وودائع ولكم فيهم مثل ذلك وأنا أرى أن تحتسبوا مالكم عندهم، ولا أحل لكم وديعة ولا عارية ولسنا برادين إليهم شيئًا من ذلك ولا ممسكيه لأنفسنا، فحفر حفيرًا وأمر كل قوم عندهم شيء من ذلك من متاع أو حلية أن يقذفوه في ذلك الحفير ثم أوقد عليه النار فأحرقه فقال: لا يكون لنا ولا لهم.

وكان السامري رجلا من قوم يعبدون البقر جيران لهم – ولم يكن من بني إسرائيل – فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا فقضي له أن رأى أثرًا من أثر جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فأخذ منه قبضة فمر بهارون فقال هارون: يا سامري ألا تلقي ما في يدك؟ وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك قال: هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر فلا ألقيها بشيء إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يكون ما أريد فألقاها ودعا له هارون وقال: أريد أن أكون عجلًا فاجتمع ما كان في الحفرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلا أجوف ليس فيه روح له صوت، فقد كانت الريح تدخل من دبره وتخرج من فيه، فتفرق بنو إسرائيل فرقًا: فقالت فرقة ياسامري ما هذا فأنت أعلم به؟ قال: هذا ربكم ولكن موسى أضل الطريق.

وقالت فرقة: لا تكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى فإن كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأيناه وإن لم يكن ربنا فإنا نتبع قول موسى.

وقالت فرقة: هذا عمل الشيطان وليس بربنا ولا نؤمن به ولا نصدق.

وأُشرب فرقة في قلوبهم التصديق بما قال السامري في العجل.

فقال لهم هارون: ﴿ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾[١] ليس هكذا.

قالوا: فما بال موسى وعدنا ثلاثين يومًا ثم أخلفنا؟ هذه أربعون قد مضت فقال سفاؤهم: أخطأ ربه فهو يطلبه ويتبعه[٢].

ولقد حاول هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يبين لهم ما وقعوا فيه من الشرك ولكنهم أصروا على ما هم عليه من الضلال.

رجوع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى بني إسرائيل:

لما كلم الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأنزلت عليه الصحف، أخبره الله بما

(١) سورة طه، الآية: ٩٠.

(٢) جزء من حديث الفتون، وقد سبق أجزاء منه.

لقي قومه من بعده من اتخاذ العجل، فرجع موسى إلى قومه غضبان من عصيان قومه حزينًا على فساد أحوالهم. وكان غضبه غيرة على التوحيد فقال لهم بئست الحالة حالتكم وبئس الخلافة خلافتكم لي. كيف يستبدلون التوحيد بالشرك وبالهداية الضلالة!!

ومن غضبه على قومه ألقى ألواح التوراة، واشتد غضبه على هؤلاء القوم الذين رأوا من آيات الله ما يجعلهم متمسكين بالتوحيد.

حوار بين الأخ وأخيه:

وجه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ اللوم إلى هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ، كيف لم يخبره بما وقع من بني إسرائيل، وقد أمره بالإصلاح فيهم، وعدم سلوك طريق الاختلاف بينهم.

وكان مع ذلك قد أمسك بلحية أخيه ورأسه يجره إليه،

فرد عليه هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ أن فعله ذلك معه إذلال له، وسبب لشماتة الآخرين به، وقد سلك فيهم ما أمره به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الاصلاح وعدم إثارة أسباب الاختلاف بينهم، وهذا اجتهاد منه

في سياسة بني إسرائيل في المحافظة على الأنفس والأموال والأخوة بينهم، وأن ما وقع منهم يمكن استدراكه برجوع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فلما أتى الجواب من هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ عذر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أخاه واستغفر له، فتجلى في قلب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الرحمة بأخيه وقد كان يواجه عناد بني إسرائيل وعتوهم، وإرادتهم قتله واستضعافهم له.

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والسامري:

انصرف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى السامري فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: قبضت قبضة من أثر الرسول وفطنت لها وعميت عليكم فقذفتها، فقد زينت لي نفسي فعل هذا الأمر فقال له موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: اخرج من بني إسرائيل لما أوحاه الله له من ضلالة هذا الرجل، فكان من عقابه أن يعيش وحيدًا طريدًا، لا يأنس بالناس ولا يخالطهم، يعيش الوحشة في قلبه، وله العذاب الأليم يوم القيامة.

وأما العجل فحرقه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولو كان إلهًا لم يحرق، فاستيقن بنو إسرائيل واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي

هارون: وقالوا - جماعتهم - لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها فتكفر لنا ما عملنا فاختار قومه سبعين رجلا لذلك - لإتيان الجبل - ممن لم يشرك في العجل فانطلق بهم ليسأل لهم التوبة فرجفت بهم الأرض فاستحيا نبي الله من قومه ووفده حين فعل لهم ما فعل فقال: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾[1] وكان فيهم من كان الله اطلع على قلبه ممن أُشرب حب العجل إيمانًا به فلذلك رجفت بهم الأرض.

فقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: رب سألتك التوبة لقومي فقلت: إن رحمتك كتبتها لقوم غير قومي فليتك أخرتني حتى تخرجني حيًا في أمة ذلك الرجل المرحومة.

فقال الله عز وجل له: إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف لا يبالي من قتل في ذلك الموطن.

ويأتي أؤلئك الذين خفي على موسى وهارون ما اطلع الله عليه

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

من ذنوبهم واعترفوا بها وفعلوا ما أمروا به فغفر الله للقاتل والمقتول[١].

حج موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

حج موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ البيت الحرام ملبيًا نداء الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومرَّ بوادي الأزرق وهبط من الثنية رافعًا صوته بالتلبية»[٢] وصلى في مسجد الخيف وعليه عباءتان قطوانيتان وهو محرم على بعير من إبل شنوءة مخطوم بخطام ليف له ضفيرتان[٣].

مسير موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة:

سار موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ببني إسرائيل متوجهًا بهم نحو الأرض المقدسة وأمرهم بالذي أُمر به أن يبلغهم من الوظائف في التوراة، فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يقروا بها فرفع الله عليهم الجبل كأنه ظلة، ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم فأخذوا الكتاب بأيمانهم وهم مصغون إلى الجبل والأرض، والكتاب بأيديهم وهم ينظرون

---

(١) جزء من حديث الفتون، وقد سبق أجزاء منه.

(٢) صحيح مسلم٤٣٨ عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ.

(٣) المعجم الأوسط (٥/ ٣١٢) ٥٤٠٧ و المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ١٤٤)١٢١١٦ عن بن عباس عن رسول الله ﷺ وهو حسن.

إلى الجبل مخافة أن يقع عليهم، فالتزموا وسجدوا، وجعلوا ينظرون إلى فوق رؤوسهم خشية أن يسقط عليهم.

ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة فوجدوا فيها مدينة فيها قوم جبارون، فقالوا: يا موسى إن فيها قومًا جبارين، لا طاقة لنا بهم ولا ندخلها ما داموا فيها، فأغضبوا موسى فدعا عليهم، لما رأى منهم من المعصية وإساءتهم، فاستجاب الله له، وحرم عليهم دخول بيت المقدس أربعين سنة يتيهون في الأرض يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار.

سؤال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه:

سأل موسى ربه عن ست خصال، كان يظن أنها له خالصة، والسابعة لم يكن موسى يحبها قال: يا رب أي عبادك أتقى؟ قال الذي يذكر ولا ينسى قال: فأي عبادك أهدى؟ قال: الذي يتبع الهدى قال: فأي عبادك أحكم؟ قال: الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه قال: فأي عبادك أعلم؟ قال: عالم لا يشبع من العلم يجمع علم الناس إلى علمه قال فأي عبادك أعز؟ قال: الذي إذا قدر غفر قال: فأي عبادك أغنى؟ قال: الذي يرضى بما يؤتى قال: فأي

عبادك أفقر؟ قال: صاحبٌ منقوص (منقوص حالته يستقل ما أوتي، ويطلب الفضل) [١].

نزول التوراة على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أنزلت التوراة على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لست مضين من رمضان[٢] أحكامها هادية وواضحة، فيها الهدى والنور لبني إسرائيل، وفيها من الأحكام التي تفصل بينهم، يحكم بها النبيون من بعد موسى والعلماء منهم، وأوكل الله حفظها لأحبار بني إسرائيل.

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبنو إسرائيل في التيه:

لما دعا عليهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين نكلوا عن الجهاد حكم الله عليهم بتحريم دخولها مدة أربعين سنة، فوقعوا في التيه يسيرون دائمًا لا يهتدون للخروج منه، وفيه كانت أمور عجيبة، وخوارق كثيرة.

---

(١) صحيح ابن حبان (١٤/ ١٠٠) ٦٢١٧ عن أبي هريرة: عن رسول الله ﷺ وهو حسن.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٢٨/ ١٩١) ١٦٩٨٤ والسنن الكبرى للبيهقي. ط المعارف بالهند (٩/ ١٨٨) ١٩١٢١ و المعجم الأوسط (٤/ ١١١) ٣٧٤٠ عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ وهو حسن.

منها تظليلهم بالغمام وأنزل عليهم المن السلوى، وجعل لهم ثيابًا لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين ظهورهم حجرًا مربعًا وأمر موسى فضربه بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا في كل ناحية ثلاثة أعين، وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها لا يرتحلون من مكان إلى مكان إلا وجد ذلك الحجر فيهم، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها موسى بن عمران.

وملّوا ما كانوا عليه من الطعام ومن أكل المن والسلوى فسألوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يأكلوا البصل والثوم والفول والعدس قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [١] فهذه الأطعمة موجودة في كل قرية.

وعانى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من بني إسرائيل من عنادهم ومخالفتهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦١.

وايذائهم له فرحم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ صبر على أذيتهم [١].

وقد كان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رجلا حييًا ستيرًا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة[٢] وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يومًا وحده فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملإ من بني إسرائيل فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه، فلبسه وطفق بالحجر ضربًا بعصاه [٣].

ثم توفي هارون، عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان موسى وهارون عليهما السلام صعدا الجبل فمات هارون فقالت بنو إسرائيل أنت قتلته وكان أشد حبا لنا منك وألين لنا منك فآذوه بذلك فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مروا على بني إسرائيل فتكلمت الملائكة بموته حتى عرفت

---

(١) صحيح البخاري ٣١٥٠.

(٢) الأدرة ضخامة الخصيتين.

(٣) صحيح البخاري ٣٤٠٤ عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن رسول الله ﷺ.

بنو إسرائيل أنه قد مات فانطلقوا به فدفنوه فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرخم فجعله الله أصم أبكم [(١)].

ثم بعده بمدة ثلاث سنين مات موسى الكليم، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وفاة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

أرسل الله ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه وقال ارجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة قال أي رب ثم ماذا؟ قال ثم الموت، قال: فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر و قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر [(٢)].

وقد مرَّ رسول الله عليه الصلاة والسلام بموسى ليلة أسري به عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره[(٣)].

---

(١) الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (١/ ٣٣١) ٦١١ والمستدرك (٢/ ٥٧٩) ٤١١٠ وشرح مشكل الآثار (١/ ٦٩)عن ابن عباس عن علي وهو صحيح.

(٢) صحيح البخاري ١٣٣٩ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام.

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (١٩/ ٤٨٤) ١٢٥٠٤ عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ وهو صحيح.

رؤية النبي صلى الله وسلم لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة**»[1].

فوصف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه وسط في الجسم ليس بالضخم ولا بالضئيل مكتنز الجسم تامه قويه كأن موسى في طوله وصفاء جسمه (من رجال شنوءة) بطن من الأزد مشهور في اليمن[2].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال نبي الله ﷺ: «**رأيت ليلة أسري بي موسى بن عمران، رَجِلًا آدم، طُوالا، جعدًا، كأنه من رجال شنوءة**»[3].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليلة أسري بي لقيت موسى قال فنعته فإذا رجل حسبته قال مضطرب رجل الرأس[4] كأنه من رجال شنوءة**»[1].

---

(١) صحيح مسلم ٤٤٨.

(٢) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٤/ ٢٣٧).

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٤/ ٧٧) ٢١٩٧ وهو صحيح.

(٤) الرجل: شعره لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما.

وكأن وجه الشبه بين موسى وبين رجال أزد شنوءة ما بدا عليه في الطول والنظافة والشنوءة وما ظهر منه من الترفع والاعتزاز[٢].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ: «**رأيت عيسى وموسى أما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط** [٣] والجسيم الطويل. و(الزُطّ) نوع من السودان، أو الهنود طوال الأجسام مع نحافة»[٤].

وفي حديث الاسراء «ثم انطلقنا حتى انتهينا إلى السماء السادسة فأتيت على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فسلمت عليه فقال مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. فلما جاوزته بكى فنودي ما يبكيك؟ قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي» [٥]

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «**ففرض الله عز**

---

(١) صحيح البخاري ٣٤٣٧.

(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (١/ ٥٤٨)و الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٤/ ٢١٩)و شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ٣٧٨)و فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٢٩).

(٣) صحيح البخاري ٣٤٣٨.

(٤) منحة الباري بشرح صحيح البخاري (٦/ ٥٣٤).

(٥) صحيح مسلم ٤٣٤.

وجل على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله لك على أمتك قلت فرض خمسين صلاة قال فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعت فوضع شطرها فرجعت إلى موسى قلت وضع شطرها فقال راجع ربك فإن أمتك لا تطيق فراجعت فوضع شطرها فرجعت إليه فقال ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعته فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت استحييت من ربي»[(١)].

وفي رواية: (فأوحى الله إلي ما أوحى، وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قال: قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة، قال: ارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي، فقلت: أي رب، خفف عن أمتي فحط عني خمسًا، فرجعت إلى

---

(١) صحيح البخاري ٣٤٩.

موسى، فقال: ما فعلت؟ قلت: حط عني خمسًا، قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسًا خمسًا، حتى قال: يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة» (١).

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور»** (٢).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أن عمر أتاه فقال: إنا نسمع أحاديث من اليهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: **«أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي»**(٣).

محاورة موسى وآدم يوم القيامة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«احتج آدم**

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١٩/ ٤٨٧)١٢٥٠٥ وهو صحيح.

(٢) صحيح البخاري ٣٣٩٨.

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٢٣/ ٣٤٩) ١٥١٥٦ وشعب الإيمان (١/ ٣٤٧) وهو حسن.

وموسى فقال له موسى أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة فقال له آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق فقال رسول الله ﷺ فحج آدم موسى مرتين»(١).

أمة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال خرج علينا النبي ﷺ يومًا فقال: **«عرضت علي الأمم ورأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق فقيل هذا موسى في قومه»**(٢).

وقد آمنت الجن بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كما قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾(٣).

من فضائل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: **«موسى بن عمران صفي الله»**(٤).

---

(١) صحيح البخاري٣٤٠٩.

(٢) صحيح البخاري ٣٤١٠.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٣٠.

(٤) المستدرك (٢/ ٦٢٩) ٤١٠٠ وهو صحيح.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال: آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه**» وفي رواية «أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة»[١].

وفي حديث الشفاعة قال فيأتون إبراهيم فيقول ائتوا موسى عبدًا آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيًا[٢].

هذه الأمة أحق بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: «**ما هذا**»؟ قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال: «**فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه**»[٣].

***

---

(١) صحيح البخاري ٣٤٠٩-٤٧٣٦.

(٢) صحيح البخاري ٧٤٤٠.

(٣) صحيح البخاري ٢٠٠٤.

هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ

ولد هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بسنة في السنة التي لا يقتل فيها الذكور فعاش، ونشأ بين والديه، وشفع له أخوه موسى بالنبوة، فكان نبيًا رسولا مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يؤازره ويشد عضده، ويؤيده وينصره، وكان بنو إسرائيل يحبوه ويجلوه، وكان يلين معهم ويلاطفهم بالدعوة والاصلاح والارشاد.

وكان أفصح لسانًا من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكان وزير موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يعينه ويقويه، فقوى الله أمر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأخيه هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ، وليس أحد أعظم منة على أخيه، من موسى على هارون، عليهما السلام، فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبيًا ورسولا معه إلى فرعون وملئه.

وكان يخلف موسى في قومه بني إسرائيل فيسير بهم سيرة محمودة، تجمع بينهم ولا تفرقهم، وكان هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ حليمًا لينًا، رفيقًا، وقويًا في الحق، ومحبًا لأخيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومطيعًا له، يهابه ويجله، وكان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يحبه ويدنيه ويستشيره ويستخلفه، ويستغفر له.

قام هارون بما كلف به من الرسالة إلى فرعون وصحب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في جميع المواقف، وخرج معه مع بني إسرائيل، وساس بني إسرائيل مع موسى عليهما السلام.

توفي هارون في حياة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم في التيه، فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مروا على بني إسرائيل فتكلمت الملائكة بموته حتى عرفت بنو إسرائيل أنه قد مات فانطلقوا به فدفنوه فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرخم فجعله الله أصم أبكم[(١)].

وقد رآه النبي عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج لما أتى السماء الخامسة فإذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح[(٢)].

وقال النبي ﷺ لعلي: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون**

---

(١) الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (١/ ٣٣١) ٦١١ والمستدرك (٢/ ٥٧٩) ٤١١٠ وشرح مشكل الآثار (١/ ٦٩)عن ابن عباس عن علي وهو صحيح.

(٢) صحيح البخاري ٣٣٩٣ عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن رسول الله ﷺ.

من موسى»[1] فخلف علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي ﷺ على أهله وعياله وأمره أن يقيم فيهم، فكان كهارون حين خلّفه موسى عليهما السلام على بني إسرائيل لما ذهب لميقات ربه.

***

(١) صحيح البخاري٣٥٠٣.

يوشع بن نون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

يوشع بن نون فتى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي صحبه لما ذهب للقاء الخضر، وقد صحب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وتعلم منه، وهو خليفة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فبعد موت موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أقام الله فيهم "يوشع بن نون" عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نبيًا خليفة عن موسى بن عمران، ومات أكثر بني إسرائيل في التيه، فلما تمت الأربعين سنة خرج بهم "يوشع بن نون" أو بمن بقي منهم وبسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني، فقصد بهم بيت المقدس فحاصرها.

وكان قبل مسيره إلى بيت المقدس قال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها [١]، ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنمًا أو خلفات وهو ينتظر ولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك فقال للشمس إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه، فالشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى

(١) أي عقد على امرأة ولم يدخل بها.

بيت المقدس [(١)] فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها فقال إن فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده، فقال فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال فيكم الغلول فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها فجاءت النار فأكلتها [(٢)].

وقال لهم يوشع ادخلوا باب بيت المقدس سجدًا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على أدبارهم وقالوا حبة في شعيرة [(٣)].

ولما استقرت يد بني إسرائيل على بيت المقدس، استمروا فيه، وبين أظهرهم نبي الله يوشع، يحكم بينهم بكتاب الله التوراة، حتى قبضه الله إليه، وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة، فكان مدة حياته بعد موسى، سبعًا وعشرين سنة.

***

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١٤/ ٦٥) ٨٣١٥ عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ وهو صحيح.

(٢) صحيح البخاري ٣١٢٤ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ.

(٣) صحيح البخاري ٤٦٤١ وصحيح مسلم ٧٧٠٨عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ.

إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلياس من ذرية هارون بن عمران، بعثه الله في بني إسرائيل، وكانوا قد عبدوا صنمًا يقال له: "بعل"، وذلك في لبنان في مدينة بعلبك، وآثار هذا الشرك باقية في ذلك الموضع.

فدعاهم إلى الله ربهم ورب آبائهم الأولين، ونهاهم عن عبادة ما سواه.

فأمرهم بالتوحيد، وإفراد العبادة لله تعالى، وحاورهم كيف يعبدون صنمًا ويتركون عبادة الله تعالى الذي خلقهم فأحسن خلقهم ورزقهم.

وقد بعثه الله بالتوحيد ونبذ عبادة الأصنام التي انتشرت في بني إسرائيل، وكانت بعثته لتجديد شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فكانت فتنة الأصنام وقعت في بني إسرائيل، فكانوا يدعونها من دون الله ويعتقدون فيها النفع والضر، ويتخذونها وسائط عند الله تعالى.

فدعاهم إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال لبني إسرائيل: ألا تتقون الله أيها

القوم، فتخافونه، وتحذرون عقوبته على عبادتكم ربًا غير الله وإلهًا سواه، وقد أنعم عليكم بنعمه الظاهرة والباطنة.

فأمن به وصدق رسالته بعض قومه وأعانوه على سدنة الصنم، فوعدهم الله تعالى حسن العاقبة في الدنيا والاخرة، وكتب لهم السلامة في الدنيا والآخرة.

وقسم من قومه حاربوه، وخالفوه وأرادوا قتله، فأهلكهم الله تعالى ونجى إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ منهم، وترك له ذكرًا حسنًا يذكر به.

فكتب الله السلامة لنبيه إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ من كيد أعدائه، الذين دعاهم إلى التوحيد وحاربوه وأصروا على الشرك والبقاء عليه، لأنهم وجدوا آبائهم على هذا الضلال.

فكانت النهاية مؤلمة موجعة لمن كفر وجحد وتجبر على دعوة التوحيد، فكتب عليهم الشقاء في الدنيا والآخرة.

ولما كبر إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ عهد إلى اليسع عَلَيْهِ السَّلَامُ بمواصلة الدعوة إلى التوحيد.

***

اليسع عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

كان اليسع فلاحًا فاصطفاه الله للنبوة على يد الرسول إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو من ذرية يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد كان اليسع قد اتبع إلياس، وآمن به وصدّقه، ولزمه، وذهب معه حيثما ذهب، وكان صالحًا مصلحًا، يحمل الخير للآخرين، ويحب لهم الهداية، ويصبر على أذاهم وصدودهم.

وقام بعد إلياس بأمر بني إسرائيل، فقد بعثه الله إلى بني إسرائيل فحمل النبوة والدعوة إلى التوحيد، ومحاربة الشرك في قومه، فمكث ما شاء الله أن يمكث؛ يدعوهم إلى الله، وإخلاص العبادة لله تعالى مستمسكًا بمنهاج إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وشريعته، فآمنت به بنو إسرائيل، وكانوا يعظّمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم.

وقد عاصر الملوك من بني إسرائيل، فنهاهم عن عبادة الأصنام، وأمرهم بالتوحيد وإفراد العبادة لله تعالى وحده لا شريك له.

وكل الأنبياء والرسل يدعون إلى التوحيد واخلاص العبادة، وبقي اليسع عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يدعو إلى الله حتى قبضه الله، عز وجل، إليه،

وكان قد استخلف على بني إسرائيل ذا الكفل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم خلف فيهم الخلوف، وعظمت فيهم الأحداث والخطايا، وكثرت الجبابرة، وقتلوا الأنبياء.



ذو الكفل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

لما كبر اليسع قال: لو أني استخلفت رجلًا من الناس على بني إسرائيل في حياتي فاستخلف ذا الكفل، وسمي بذلك لأنه تكفل لليسع عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بسياسة بني إسرائيل، فأوحى الله إليه بالنبوة، وكان يقوم الليل ولا يفتر، ولا ينام إلا إذا غلبه النوم فلا ينام إلا قليلاً، ويصوم النهار ولا يفطر، وكان ذلك جائزًا في شريعتهم. وكان يقضي بين الناس ولا يغضب، لما جبله الله عليه من الحلم والأناة والصبر.

وهو خليفة اليسع عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي [١] فتتولى أمورهم الأنبياء كالأمراء والولاة بالرعية، فيقومون بما يصلحهم.

وتوفي اليسع عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد ما رأى سيرة ذي الكفل في بني إسرائيل فأقرَّ الله عينه بذلك.

فتولى ذو الكفل أمر بني إسرائيل فسار بهم في سيرة حسنة،

(١) صحيح البخاري ٣٤٥٥عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

وكان يصبر على آذاهم وعلى تعليمهم الخير وتحذيرهم من الشر، ويصبر على طاعة ربه، وكان يحب الخير لهم وينصح لهم.

ويهتم بشئونهم، يتكفل بفقيرهم، ومحتاجهم، ويعود مرضاهم، ويتفقد أحوالهم، وتلك سيرة الأنبياء في قومهم، يحملون لهم الحب والنصح والشفقة، ويتحملون في سبيل ذلك المشاق.

وكان ذو الكفل يسوس بني إسرائيل بالعدل والرفق واللين والحزم، يقيم فيهم التوحيد، وطاعة ربهم، واستمر بهذه السيرة حتى توفاه الله تعالى.

***

داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

كان داود، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أصغر أولاد أبيه، وكانوا ثلاثة عشر ذكرًا، وهو من ذرية يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكان شابًا قويًا، مسددًا في الرمي لا يخطئ، وكان يعمل في صناعة الدروع، ويأكل من عمل يده، وقد امتن الله بصنعه علمها داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فانتفع بها الناس وهي صنعة الدروع.

وقد خرج في جيش طالوت لقتال جالوت وكان من البقية الباقية التي صبرت ولم تشرب من النهر، تلك الفئة القليلة التي غلبت فئة كثيرة بإذن الله ثم بصبرهم وإيمانهم ويقينهم، فرمى داود جالوت فقتله، فكانت له المكانة في بني إسرائيل، وجمع الله له الملك والنبوة.

وكان ذا قوة في العبادة والعمل الصالح. فقد أعطي قوة في العبادة وفقهًا في الإسلام. وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر.

كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يفر إذا لاقى.

وقد شدّ الله ملكه بالعدل والحزم والقوة في الحق.

وكان رجل من بني إسرائيل قد استعدى على رجل من عظمائهم، فاجتمعا عند داود النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال المستعدي: إن هذا اغتصبني بقرًا لي، فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده، فسأل الآخر البينة، فلم يكن له بينة، فقال لهما داود: قوما حتى أنظر في أمركما؛ فقاما من عنده، فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل الرجل الذي أُستعدي عليه، فقال: هذه رؤيًا ولست أعجل، حتى أتثبت، فأوحى الله إلى داود في منامه مرة أخرى أن يقتل الرجل، وأوحى الله إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة من الله، فأرسل داود إلى الرجل: إن الله قد أوحى إليَّ أن أقتلك، فقال الرجل: تقتلني بغير بينة ولا تثبت؟ فقال له داود: نعم، والله لأنفذن أمر الله فيك؛ فلما عرف الرجل أنه قاتله، قال: لا تعجل عليَّ حتى أخبرك، إني والله ما أُخذت بهذا الذنب، ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته، فبذلك قُتلت، فأمر به داود فقتل، فاشتدت هيبة بني إسرائيل عند ذلك لداود، عَلَيْهِ السَّلَامُ وشدد به ملكه [1].

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٠/ ٤٧) و تاريخ دمشق لابن عساكر (١٧/ ١٠٢) عن ابن عباس وهو حديث حسن وله حكم الرفع.

وقد أوتي القوة في الفصل بين المتنازعين، وفهم الحجج والبراهين، يصيب الحق ويعمل به.

وكان شديد الاجتهاد دائب العبادة، فأقام في بني إسرائيل يحكم فيهم بأمر الله نبيًا مستخلفًا، وكان شديد الاجتهاد من الأنبياء، كثير البكاء.

وكان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وذريته كثير الشكر لله تعالى في القليل والكثير.

قصة الخصمين:

كان له بيت يتعبد الله فيه، ويخلو بنفسه عن الناس، وقد ابتلاه الله تعالى بالخصمين اللذين تسورا عليه ذلك المكان، ودخلا عليه بغير إذن منه ليقضي بينهما، وكان قلبه معلق بالعبادة ففزع من دخولهما والباب مغلق، فعرضا قضيتهما عليه فتكلم المدعي بأسلوب المتظلم طالبًا من داود عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يحكم بينهم بالعدل، فعرض مظلمته بأن له شاة واحدة، وأن خصمه له تسع وتسعون نعجة، وأنه ألح عليه أن يجعلها مع شياهه، لينتفع منها ويباهي بها

في بلوغها المائة، وأغلظ عليه بالسؤال وألح عليه بالمطالبة، فأجاب داود بالحكم من قبل أن يسمع من الخصم الآخر، ويسأله عن حجته، ليتفرغ للعبادة، فحكم بأن الآخر ظالم ولم يسمع منه، فلما نطق بالحكم علم أنه استعجل بالحكم وأن ذلك ابتلاء من الله له فتاب إلى الله واستغفر من هذا الحكم الذي تعجل به، فسجد لله تعالى طالبًا مغفرته وقبول توبته.

قصة حكم داود وسليمان عليهما السلام:

كان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ يجلس للقضاء بين الناس، وكان ابنه سليمان صغيرًا يجلس خارج باب بيت القضاء. فاختصم إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ رجلان أحدهما صاحب مزرعة، والآخر صاحب غنم، فدخلت الغنم الحرث ليلا فأفسدت ما فيه.

فقضى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ أن تعطى الغنم لأصحاب الحرث إذ كان ثمن تلك الغنم يساوي ثمن ما تلف من ذلك الحرث، فلما حكم بذلك وخرج الخصمان فقصا أمرهما على سليمان، فقال: لو كنت أنا قاضيًا لحكمت بغير هذا. فبلغ ذلك داود فأحضره وقال له: بماذا كنت تقضي؟ قال: إني رأيت ما هو أرفق بالجميع. قال: وما هو؟

قال: أن يأخذ أصحاب الغنم الحرث يقوم عليه عاملهم ويصلحه عامًا كاملا حتى يعود كما كان، ويرده إلى أصحابه، وأن يأخذ أصحاب الحرث الغنم تسلم إلى راعيهم فينتفعوا من ألبانها وأصوافها ونسلها في تلك المدة، فإذا كمل الحرث وعاد إلى حاله الأول، صُرف إلى كل فريق ما كان له. فقال داود: وفقت يا بني. وقضى بينهما بذلك.

والله تعالى أراد أن يظهر علم سليمان عند أبيه ليزداد سروره به، وليتعزَّ به، والأب يفرح بنبوغ ابنه ولو كان على حساب نفسه.

قصة المرأتين وحكم داود وسليمان عليهما السلام:

كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت لصاحبتها إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه فقال ائتوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى (١).

(١) صحيح البخاري ٦٧٦٩ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ.

نزول الزبور على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أنزل الله على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كتابًا فيه مواعظ وأمثال، كان بنو إسرائيل يترنمون بفصوله، وهو الزبور. ومعناه الكتابة ويسمى المكتوب زبورًا فيجمع على الزبر، وأُنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان (١).

ووهبه الله تعالى صوتًا جميلًا، ما لم يعطه أحدًا، فكان إذا ترنم بقراءة كتابه الزبور، يقف الطير في الهواء، يرجع بترجيعه ويسبح بتسبيحه، وكذلك الجبال تجيبه، وتسبح معه، كلما سبح بكرة وعشيًا وقد خفف على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ القراءة فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه (٢).

وفاة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ:

كان داود النبي فيه غيرة شديدة، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع "، قال: " فخرج ذات يوم، وأغلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل

---

(١) المعجم الأوسط (٤/ ١١١) ٣٧٤٠ السنن الكبرى للبيهقي. ط المعارف بالهند (٩/ ١٨٨) ١٩١٢١ عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ وهو حسن.

(٢) صحيح البخاري ٣٤١٧ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ والمقصود به الزبور.

قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل الدار، والدار مغلقة، والله لنفتضحن بداود، فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا يمتنع مني الحجاب.

فقال داود: أنت والله إذن ملك الموت، مرحبًا بأمر الله، فمكث داود في مكانه حيث قبضت روحه حتى فرغ من شأنه، وطلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي على داود، فأظلت عليه الطير حتى أظلمت عليهم الأرض، فقال لها سليمان: اقبضي جناحًا جناحًا» [١].

وكان عمر داود عَلَيْهِ السَّلَامُ أربعين سنة، ووهبه أبوه آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ستين سنة من عمره، وذلك لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله بإذنه فقال له ربه رحمك الله يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملإ منهم جلوس فقل السلام عليكم قالوا وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع إلى ربه فقال إن هذه تحيتك

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١٥/ ٢٥٤) ٩٤٣٢ عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ وفيه انقطاع ورجاله رجال الصحيح.

وتحية بنيك بينهم فقال الله له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال أي رب ما هؤلاء؟ فقال هؤلاء ذريتك فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه فإذا فيهم رجل أجملهم، قال يا رب من هذا؟ قال هذا ابنك داود قد كتبت له عمر أربعين سنة قال يا رب زده في عمره قال ذاك الذي كتبت له قال أي رب فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة؟ قال أنت وذاك قال ثم أسكن الجنة ما شاء الله ثم اهبط منها فكان آدم يعد لنفسه قال فأتاه ملك الموت فقال له آدم قد عجلت قد كتب لي ألف سنة قال بلى ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة فجحد فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته [(١)] ثم أكمل الله، عز وجل، لآدم ألف سنةٍ، وأكمل لداود مائة سنة [(٢)].

***

(١) سنن الترمذي (٥/ ٤٥٣) ٣٣٦٨ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ وهو صحيح.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٩).

سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ

ورث سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، في الملك والنبوة، وليس بالمال؛ فإن الأنبياء لا تورث أموالهم، فخلف سليمان داود في ملكه القائم في سياسة الأمة وظهور الحكمة والنبوة في بني إسرائيل.

وقد فضّل الله سليمان كما فضّل داود وآتاه الله العلم والحكمة والفهم والسياسية، فكان نعم الخلف لأبيه.

وخص الله عز وجل سليمان بخصائص أخرى وذلك في فهم لغة الطير والحيوان وتسخير الجن وائتمارهم بأمرهم وخدمتهم له، وتسخير الريح له تجري بأمره.

وآتاه الله تعالى من جميع نعمه فسخرها في ابتغاء مرضاته.

وكان كثير الشكر لله تعالى على نعمه في كل حال، يلهج لسانه بالحمد والشكر والثناء على الله تعالى.

وتلك حالة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الشكر والذكر والصبر، فيزدادون شكرًا وتواضعًا مع كثرة النعم.

قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ والنملة:

مرَّ سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بوادي النمل ومعه جيشه من الجن والانس

والطير، فنادات نملة جميع النمل للدخول إلى مساكنها لأنها خافت على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها، فألهمها الله عز وجل ما كان منها من ذلك مما يكون سببًا لنجاتها ونجاة أمثالها.

ففهم ذلك سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ منها، وتبسم سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ من قولها تبسم المتعجب. كيف عرفته، ووصفته وعذرته، فوصفته وجنده بالصلاح والرأفة وأنهم لا يقتلون ما فيه روح لغير مصلحة، وهذا تنويه برأفته وعدله الشامل بكل مخلوق، فلو وقع منهم ايذاء للنمل فذلك بدون قصد منهم.

فضرب الله هذا المثل لنبيه سليمان بالوحي من دلالة نملة، وذلك سر بينه وبين ربه جعله تنبيهًا له ودعوة لشكر ربه، فبادر إلى الشكر وسأل ربه أن يعينه على الشكر ويوفقه للحمد والثناء عليه على نعمه التي أنعم بها عليه وعلى والديه، وسأل ربه أن يوفقه للعمل الصالح وأن يجعله من عباده الصالحين.

فذلك الموقف استوجب من سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ الشكر والاعتراف بنعمة الله تعالى عليه، من معرفة لغة النمل، ومن سيرته الحسنة التي وفق إليها.

قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ والهدهد:

لم يكن ملك سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ملكًا لا أهداف له ولا رسالة، فرسالته التوحيد، ولذلك ربى أمته التي تحت يده على التوحيد والدعوة إليه.

وتفقد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أحوال الرعية من الجن والانس والطير والحيوان ففقد الهدهد فلم ير له أثرًا فسأل عنه، فصمم سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ على أنه يفعل به عقوبة جزاء على عدم حضوره في الجنود. إلا أن يأتي بما يدفع به العقاب عن نفسه من عذر مقبول.

فلم يطل انتظار الهدهد فجاء بخبر صدق رآه وتيقن منه، وخاطب سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه اطلع على علم لم يطلع عليه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فقد رأى في أرض سبأ ملكة تملك قومها وهم على الشرك يعبدون الشمس وقد نالت من كل شيء حسن من شؤون الملك، وخص من نفائس الأشياء التي أعطيت عرشها إذ كان عرشًا بديعًا ولم يكن لسليمان عرش مثله.

ومع ما هم عليه من النعم فقد صدهم الشيطان عن التوحيد وأوقعهم في الشرك

فأجاب سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ الهدهد، سننظر في إخبارك هذا، أم كنت من الكاذبين في مقالتك، فتتخلص من الوعيد الذي أوعدتك؟.

وقال سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ للهدهد اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم، وكانت لها نافذة مستقبلة الشمس ساعة تطلع الشمس تطلع فيها فتسجد لها، فجاء الهدهد حتى وقع فيها فسدها، واستبطأت الشمس، فقامت تنظر، فرمى بالصحيفة إليها من تحت جناحه، وطار حتى قامت تنظر الشمس، وانتظر قريبًا منهم، وسمع كلام المرأة مع أهل مملكتها.

سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ودعوة بلقيس:

كان كتاب سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ موجزًا بليغًا داعيًا إلى التوحيد فنهاهم عن الامتناع عما دعاهم إليه؛ من التوحيد، و لا يتكبروا على الحق، وأقبلوا إلي مذعنين لله بالوحدانية والطاعة.

فقالت بلقيس لمن حولها أشيروا عليَّ في أمري الذي قد حضرني من أمر صاحب هذا الكتاب الذي ألقي إلي، فما كنت قاضية أمرًا في ذلك حتى تشهدون، فأشاوركم فيه.

فقال الملأ من قوم ملكة سبأ، إذ شاورتهم في أمرها وأمر سليمان: نحن ذوو القوة على القتال، والبأس الشديد في الحرب، والأمر أيتها الملكة إليك في القتال وفي تركه، فانظري من الرأي ما ترين، فمرينا نأتمر لأمرك.

فقالت ملكة سبأ للملأ من قومها، لما عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان إن أمرتهم إن الملوك إذا دخلوا قرية عنوة وغلبة خربوها واسترقوا أحرارهم، وسبوا نساءهم.

وقالت لهم: إني مرسلة إلى سليمان بهدية، لتختبره بذلك وتعرفه به، أملك هو، أم نبي؟ وقالت: إن يكن نبيًا لم يقبل الهدية، ولم يرضه منا إلا أن نتبعه على دينه، وإن يكن ملكًا قبل الهدية.

وبعثت إليه بمماليك من الذكور والإناث، وألبستهم لباسًا واحدًا حتى لا يعرف الذكر من الأنثى، فقالت: إن فرّق بينهم حتى عرف الذكر من الأنثى، ثم رد الهدية فإنه نبي، وينبغي لنا أن نترك ملكنا، ونتبع دينه، ونلحق به» (١).

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٨/ ٥٣)عن ابن عباس.

فلما جاءت الهدية إلى سليمان فرّق بين الذكر والأنثى وقال للرسول أتمدونن بمال، فما آتاني الله من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل.

فأنتم الذين تفرحون بالهدية التي تهدى إليكم، لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا، ومكاثرة بها، وليست الدنيا وأموالها من حاجتي، لأن الله تعالى قد مكنني منها وملكني فيها ما لم يملك أحدًا.

وقال سليمان لرسول المرأة، ارجع إليهم، فلنقاتلكم بجنود لا طاقة لكم بها، ولا قدرة لكم على دفعها.

وجاء الوحي إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بإسلامهم، وأنهم سيقدمون إليه راغبين.

وأراد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ إحضار عرش هذه المرأة، ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته، ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه، أنها خلفته في بيت في جوف أبيات بعضها في جوف بعض، مغلق مقفل عليها، فأخرجه الله من ذلك كله، بغير فتح إغلاق وأقفال، حتى أوصله إلى وليه من خلقه، وسلمه إليه، فكان لها في ذلك أعظم

حجة على حقيقة ما دعاها إليه سليمان، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته.

فقال سليمان لمن حوله أيكم يأتيني بعرشها؟

فقال مارد من الجن أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي جلست فيه للحكم بين الناس.

وقال رجل من بني إسرائيل، كان يعلم اسم الله الذي إذا دعي به أجاب "

أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، ثم دعا باسم من أسماء الله، فإذا هو يحمل بين عينيه.

فلما رأى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ عرش ملكة سبأ مستقرًا عنده.

قال: هذا من فضل ربي الذي أفضله عليَّ وعطائه الذي جاد به عليَّ ليختبرني ويمتحنني، أأشكر تلك النعمة؟ أم أكفر نعمته عليَّ بترك الشكر له؟

وأمرهم أن يغيروا في صفة العرش فيزيدوا فيه، وينقصوا منه، لينظر إلى عقلها، فوجدت ثابتة العقل، لأنه لما أتت أُخرج لها عرشها فشبهته به.

وكانت على عقيدة فاسدة، فصدها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر، وكان ذلك من دين قومها وآبائها، فاتبعت فيه آثارهم. فلم تسلم حتى رأت من الآيات والحجج والبراهين على صدق نبوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وكان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أمر بالصرح، وقد عملته له الشياطين من الزجاج كأنه الماء بياضًا، ثم أجرى الماء تحته، ثم وضع له فيه سريره، فجلس عليه، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، وقيل لها ادخلي الصرح، ليريها ملكًا هو أعز من ملكها، وسلطانًا هو أعظم من سلطانها، فلما رأته حسبته بحرًا وكشفت عن ساقيها، وهي لا تشك أنه ماء تخوضه، فقيل لها: ادخلي، إنه صرح مصنوع من الزجاج؛ فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله وعاتبها في عبادتها الشمس دون الله، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[(١)] وأسلمت، فحسن إسلامها وانقادت مع سليمان مذعنة لله بالتوحيد، مفردة له بالألوهة والربوبية دون كل من سواه.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٤.

محبة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الجهاد والاعداد له:

كان سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يعد الخيل للجهاد في سبيل الله، واشتغل يومًا بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر، فغربت الشمس ولم يصل تلك الصلاة فأمر أن ترد عليه فنحرها جميعًا وكانت عشرين ألفًا.

فعوضه الله تعالى ما هو خير منها وهي الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل.

ومن محبته للجهاد أنه قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل [(١)].

وتلك من الفتن التي فتن بها سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فجيء بشق الغلام وأقعد على كرسي ملكه، فعلم أنه قد فتن فاستغفر ربه، وسأل ملكًا

---

(١) صحيح البخاري ٢٨١٩ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ وقال والذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون.

لا ينبغي لأحد من بعده مما جعله الله له من تسخير الشياطين والجن والطير وغيرهم فتلك دعوة سليمان التي استجاب الله له فيها.

تجديد بيت المقدس:

لما بنى بيت المقدس سليمان بن داود ﷺ سأل الله عز و جل خلالا ثلاثة سأل الله عز وجل حكمًا يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله عز وجل ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه [(١)].

وكان تجديده بعد ما خُرّب واندثر، فأمر سليمان ببنائه وعمارته وتطهيره.

تسخير الريح لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ:

سخر الله لسليمان بن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ الريح تجري بأمر سليمان من وإلى الشام فتجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان، ثم تعود به إلى منزله بالشام.

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١١/ ٢١٩) ٦٦٤٤وسنن النسائي (٢/ ٣٤) ٦٩٣ وسنن ابن ماجه ١٤٠٨عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ وهو صحيح.

وكان مسيرها أول النهار مسيرة شهر، ومسيرها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر، فتسير مسيرة شهرين بيوم واحد.

وكان يغزو عليها، وتحمل الجيش وذلك من تسخير الله تعالى لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن الملك الذي وهبه الله.

الشياطين في عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ:

كانت الشياطين منقادة لأمر سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ وكانوا يوحون إلى أولياهم من الكهنة والعرافين ما يسترقونه من السمع، ويكذبون معه من الأكاذيب الباطلة، وادعاء علم الغيب وتعلم السحر، وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب. فبعث سليمان في الناس، فجمع ما كتبه الكهان عن الشياطين فدفنها وقال: لا أسمع أحدًا يذكر أن الشياطين تعلم الغيب إلا ضربت عنقه. فلما مات سليمان، وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان، وخلف بعد ذلك خلف، فقال الشيطان: إن سليمان إنما كان يضبط الإنس والشياطين والطير بهذا السحر، وفشا في الناس أن سليمان كان ساحرًا واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب، فكذب الله تعالى قولهم ذلك. فقال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

وفاة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

كان سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إذا نبتت شجرة سألها لأي داء أنت؟ قال: فتخبره.

فإن كانت لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت، فلما نبتت الخرنوب سألها لأي شيء نبت؟ فقالت: لخراب هذا المسجد قال: إن خراب هذا المسجد لا يكون إلا عند موتي فقام يصلي وقال سليمان اللهم عمِّ على الجن موتي حتى تعلم الانس أن الجن لا تعلم الغيب قال فنحتها عصى يتوكأ عليها.

فمات سليمان بن داود عليهما السلام و هو قائم يصلي ولم تعلم الشياطين بذلك حتى أكلت الأرضة عصاه فخرَّ، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب [1].

***

(١) المستدرك (٢/ ٤٥٩) ٣٥٨٤ وحلية الأولياء (٤/ ٣٠٤)والمعجم الكبير للطبراني (١٠/ ١٤٣) ١٢١١٤و الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٤/ ١٨٩)عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي فقال: صحيح.

زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

كان زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نبيًا عظيمًا من أنبياء بني إسرائيل. وكان نجارًا(١)، يأكل من عمل يديه في النجارة. وهو من نسل يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان كثير العبادة والتنسك، ولما ولدت مريم بادر أحبار بني إسرائيل لكفالتها، وكانت خالتها زوجة زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فاقترعوا أيهم يكفل مريم فخرجت القرعة على زكريا فكفلها وجعلها في بيته، وكان كلما دخل عليها مكان العبادة وجد عندها طعامًا فيسألها فتقول من عند الله يرزق من يشاء.

فلما رأى زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن الله تعالى يرزق مريم، عليها السلام، فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، وكان زكريا قد كبر ولم يرزق ابنًا يرث النبوة في بني إسرائيل، طمع حينئذ في الولد، و كان قد ضعف و وهن منه العظم، واشتعل رأسه شيبًا، وإن كانت امرأته مع ذلك كبيرة وعاقرًا، لكنه مع هذا كله سأل ربه وناداه نداء خفيًا، وقال: رب هب لي من عندك ولدًا صالحًا إنك

---

(١) صحيح مسلم ٦٣١٢ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ.

سميع الدعاء. لقد دعا دعاء المضطر وسأل ربه وهو في ظلمة الليل وحده، واليقين يملأ قلبه بالإجابة، سأل ربه القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه، سأل الكريم الرحيم.

فبشرته به الملائكة بولد يوجد من صلبك اسمه يحيى سيدًا في العلم والعبادة، وفي خلقه ودينه ونبيًا من الصالحين يؤمن بالمسيح ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومعصومًا من الذنوب، لا يأتيها ومانعًا نفسه من الشهوات.

وتعجب زكريا، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين أجيب إلى ما سأل، وبُشر بالولد، ففرح فرحًا شديدًا، وسأل عن كيفية ما يولد له، وكيف يأتيه منه الولد، مع أن امرأته كانت عاقرًا لم تلد من أول عمرها مع كبرها، وهو قد كبر وضعف.

فأجيب أن ذلك سهل على الله تعالى، إنما اذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

فسأل زكريا ربه علامة يستدل بها على وجود الولد منه، ليطمئن قلبه، فقيل له أن علامة ذلك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا إشارة لا

تستطيع النطق، مع أنك سوي صحيح، ثم أمر بكثرة الذكر والشكر والتسبيح في هذه الحال.

وكانت دعوة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ وإجابته معجزة له، ورحمة من الله له، ولم تكن دعوته طمعًا في دنيا وإنما طمعًا بما في الآخرة فإن نفوس الأنبياء لا تطمح إلا لمعالي الأمور ومصالح الدين وما سوى ذلك فهو تبع لها.

ولد يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقرَّت عين زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ به، فلم يزل زكريا شاكرًا لله تعالى على نعمة الولد.

يسارع في عمل القربات وفعل الطاعات، ويدعو ربه رغبة فيما عنده من الأجر والثواب والفضل، ورهبة مما عنده من العقاب والجزاء، مع تصديقه بما أنزل الله.

وقد أصيب عَلَيْهِ السَّلَامُ بمصيبة قتل ابنه يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ على يد اليهود، ثم قتلته اليهود بعد ابنه، ونشرته بالمنشار لما دخل الشجرة التي اختفى فيها عن اليهود.

***

يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

ولد يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبشُر بالنبوة في صغره، وكانت ولادته معجزة لأبيه زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد جُبل على أخلاق عظيمة وآداب جميلة، يحمل الرحمة والرفق والفهم وزكاة في القلب وطهارة في النفس.

علّمه الله التوراة، وهو صغير، فتعلم الكتاب بجد وحرص واجتهاد، وأوتي الفهم والعلم والجد والعزم، والإقبال على الخير، والإكباب عليه، والاجتهاد فيه وهو صغير حدث السن. مع طهارة في الخلق وسلامة من النقائص والرذائل. وطاعة لله بامتثال أوامره وترك زواجره.

وألقى الله عليه المحبة، فما رآه أحد إلا أحبه، مع برٍّ لوالديه، ومجانبته عقوقهما، قولا وفعلا، وأمرًا، ونهيًا؛ فلم يعص لهما أمرًا ولم يخالفهما فيما أرادا.

وصية الله لعبده يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

أوحى الله عز وجل إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فكأنه أبطأ بهن، فأوحى الله

عز وجل إلى عيسى إما أن يبلغهن أو تبلغهن فأتاه عيسى فقال: إن الله أمرك بخمس كلمات تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فإما أن تخبرهم وإما أن أخبرهم فقال: يا روح الله لا تفعل فإني أخاف إن سبقتني بهن أن يخسف بي أو أعذب.

فجمع بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد وقعدوا على الشرفات

ثم خطبهم فقال: إن الله عز وجل أوحى إليَّ بخمس كلمات وأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن:

أولهن: أن لا يشركوا بالله شيئًا فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو ورق، ثم أسكنه دارًا فقال: اعمل وارفع إليَّ فجعل العبد يرفع إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ فإن الله عز وجل خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئًا.

وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا فإن الله عز وجل يقبل بوجهه إلى وجه عبده ما لم يلتفت.

وأمركم بالصيام، ومثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة مسك فكلهم يحب أن يجد ريحها، وخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة، ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوه إلى عنقه أو قربوه ليضربوا عنقه فجعل يقول لهم: هل لكم أن أفدي نفسي منكم فجعل يعطي القليل والكثير حتى فدى نفسه.

وأمركم بذكر الله كثيرًا ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره حتى أتى حصنًا حصينًا فأحرز نفسه فيه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله»[(١)].

مقتل يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

بعث عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا في إثني عشر ألفًا من الحواريين يعلمون الناس وكان فيما ينهونهم عنه نكاح ابنة الأخ.

وكانت لملكهم ابنة أخ تعجبه يريد أن يتزوجها فكانت لها كل

---

(١) مسند الطيالسي (٢/ ٤٧٩) ١٢٥٧ وسنن الترمذي ٢٨٦٣ عن الحارث الأشعري، أن رسول الله ﷺ وهو صحيح.

يوم حاجة يقضيها فلما بلغ ذلك أمها قالت لها: إذا دخلت على الملك فسألك حاجتك فقولي: حاجتي أن تذبح لي يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سألها حاجتها فقالت: حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فقال: سليني غير هذا فقالت: ما أسألك إلا هذا فقال: فلما أبت عليه دعا يحيى بن زكريا ودعي بطشت فذبحه فدرت قطرة من دمه على الأرض فلم تزل تغلي حتى بعث الله بخت نصر عليهم فجاءته عجوز من بني إسرائيل فدلته على ذلك الدم فألقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن فقتل سبعين ألفًا منهم من سن واحدة حتى سكن (١).

رؤية النبي عليه الصلاة والسلام ليحيى ليلة المعراج:

قال النبي عليه الصلاة والسلام ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه؟ قال نعم فلما خلصت فإذا يحيى وعيسى

---

(١) المستدرك (٢/ ٦٤٧) ٤١٥١ و من عاش بعد الموت (ص: ٤٠) ٤٤عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال الحاكم هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي وهو حسن.

وهما ابنا خالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح[(١)].

***

(١) صحيح البخاري ٣٤٣٠ عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن نبي الله ﷺ.

عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

كان آية في خلقه ومعجزة في حياته وفي رفعه وفي نزوله آخر الزمان، فقد كرّم الله تعالى أمه وكملها، واختارها واصطفاها لتكون أمًا له عَلَيْهِ السَّلَامُ فخلقه الله تعالى بلا أب ليكون آية للخلق جميعًا.

أم المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مريم بنت عمران أبوها حبر من أحبار بني إسرائيل، وقد نذرت الأم لله تعالى ما في بطنها من الحمل أن يكون خادمًا في بيت المقدس، وكان أخوها هارون بن عمران، وكانوا يسمون بأسماء أنبيائهم[(١)].

ولم تكن تعلم ما في بطنها أذكرًا أم أنثى؟ فلما ولدتها علمت أنها أنثى، وليس الذكر كالأنثى في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى، فسمتها مريم وعوذتها بالله، عز وجل، من شر الشيطان، وعوذت ذريتها، وهو ولدها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. فاستجاب

---

(١) سنن الترمذي ٣١٥٥ عن المغيرة بن شعبة عن رسول الله ﷺ وهو حسن.

الله لها ذلك فما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مسه إياه، إلا مريم وابنها» [١].

فتقبلها ربها من أمها وأنشأها إنشاء صالحًا. وذلك في الخلق ونزاهة الباطن ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم الخير والعلم والدين. وجعل نبي الله زكريا كافلًا لها.

فكانت مريم ملازمة لخدمة بيت المقدس، وكانت تتعبد بمكان تتخذه لها محرابًا، وكان زكريا يتعهد تعبدها فيرى كرامة لها أن عندها ثمارًا في غير وقت وجود صنفها.

فيقول من أين لك هذا؟ فتقول: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [٢].

ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة، فكانت إحدى العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة العظيمة والتبتل.

---

(١) صحيح البخاري ٣٤٣١ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

خلق المسيح عيسى بن مريم:

لما أراد الله تعالى - وله الحكمة والحجة البالغة - أن يوجد من مريم عبده ورسوله عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أحد الرسل أولي العزم الخمسة.

بشرتها الملائكة، بأن سيوجد منها ولد عظيم، له شأن كبير، يكون وجوده بكلمة من الله، "كن" فيكون، اسمه المسيح عيسى ابن مريم، نسبة إلى أمه، حيث لا أب له، له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا، بما يوحيه الله إليه من الشريعة، وينزل عليه من الكتاب، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه، أسوة بإخوانه من أولي العزم، صلوات الله عليهم.

ويكلم الناس في المهد، ويدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، في حال صغره، معجزة وآية، وحال كهوليته حين يوحي الله إليه بذلك.

فلما سمعت بشارة الملائكة لها بذلك، عن الله، عز وجل، قالت في مناجاتها: كيف يوجد هذا الولد مني، وأنا لست بذات زوج، ولا من عزمت على الزواج، ولست بغيًا؟ فقد طهرها الله.

فقال لها الملك -عن الله، عز وجل، كذلك الله يخلق ما يشاء، لا يعجزه شيء. يخلق ما يشاء. وهو دلالة وعلامة للناس على قدرة الله، الذي نوّع في خلقهم، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى، إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر.

فاستسلمت مريم لقضاء الله تعالى، فنفخ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عليها، فحملت بالولد بإذن الله تعالى. فلما حملت به ضاقت ذرعًا به، ولم تدر ماذا تقول للناس، فإنها تعلم أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به، غير أنها أفشت سرها وذكرت أمرها لخالتها امرأة زكريا، وكانوا بيت إيمان وتصديق، فصدقتها وكتمت أمرها.

وحملت به كما تحمل النساء بأولادهن؛ ولهذا لما ظهرت علامات الحمل عليها، اعتزلت الناس شرقي بيت المقدس، فلما أتمت التسعة أشهر جاءها المخاض.

ولادة المسيح:

كانت مريم تعتزل الناس شرقي المسجد واتخذت من دونهم

حجابًا يسترها من الناس، فجاءها المخاض، وهي تحت جذع النخلة، فلما أحست بألم الولادة تمنت الموت لأنها تعلم أن الناس لا يصدقونها، وعلمت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي خُلق من غير أب.

ومع ألم الولادة والهم الذي تحمله نادها الملك أن لا تحزن ولا تغتم فإن الله تعالى سيظهر براءتها، وعليها أن تشرب وتأكل وتقرَّ عينها بمولودها، فقد جعل الله عندها نهرًا صغيرًا يجري بالماء، ورطبًا يتساقط من النخلة في غير وقته كرامة لها ودلالة على صدقها، وألهمت أن تصوم عن الكلام.

فسلمت مريم لأمر الله، عز وجل، واستسلمت لقضائه، وأخذت ولدها فأتت به قومها تحمله، فلما رأوها كذلك، أعظموا أمرها، واستنكروه، وقالوا: يا مريم لقد جئت أمرًا عظيمًا. فأنت من بيت طيب طاهر، معروف بالصلاح والعبادة.

فأشارت لهم إلى ولدها أن كلموه. فقالوا: تأمرنا أن نكلم من كان في المهد صبيًا!

فتكلم المسيح فقال: إني عبد الله، فبرأ الله عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه.

وبرأ أمه مما نسبت إليه من الفاحشة.

وأخبر أن الله أمره بالصلاة والزكاة، وأمره ببر والدته.

فاختلف أهل ذلك الزمان، ومن بعدهم فيه، فمن قائل من اليهود: إنه ولد زانية. واستمروا على كفرهم وعنادهم، وقابلهم آخرون في الكفر فقالوا: هو الله. وقال آخرون: هو ابن الله. وقال المؤمنون: هو عبد الله ورسوله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه. وهؤلاء هم الناجون المثابون، المؤيدون المنصورون.

فكان عيسى وأمه آية وعبرة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾[1] وهي أرض بيت المقدس شبهها بأنهار الشام[2].

ونشأ المسيح عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نشاءة صالحة في كنف أمه، وظهر لبني إسرائيل ما خصه الله تعالى من الخصائص.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.

(٢) كما ورد عن ابن عباس بإسناد جيد كما ذكر ابن كثير.

بعثة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[1].

وأنزل الله عليه الإنجيل، لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان[2]. وكان عمره ثلاثين سنة عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأيده الله بالمعجزات من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، والعلم بالغيوب مما يدخرون في بيوتهم، وتحدث الناس بدعوته، ، فدعاهم إلى الله، وأمرهم بالتوحيد.

فجعل الكافرون والمنافقون من بني إسرائيل يعجبون منه ويستهزئون به فيقولون: ما أكل فلان البارحة، وما ادخر في بيته؟ فيخبرهم، فيزداد المؤمنون إيمانًا، والكافرون والمنافقون شكًا وكفرانًا.

---

(١) سورة الصف، الآية: ٦.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٢٨/ ١٩١) ١٦٩٨٤ وهو حسن عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ.

وكانت معجزات عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه بعث في زمن الأطباء والحكماء، فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها، فكيف بطبيب إبراء الأكمه، وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره، هذا مما يعلم كل أحد أنه معجزة دالة على صدق من قامت به، وعلى قدرة من أرسله.

اختيار الله للحواريين:

الحواريون أصحاب عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم أنصاره، و إنما سموا الحواريين لبياض ثيابهم كانوا صيادين وقيل قصارين يبيضون الثياب أي ينظفونها [(١)].

فإنه لما أقام عيسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ على بني إسرائيل الحجج والبراهين، استمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم، فانتدب له من بينهم طائفة صالحة، فكانوا له أنصارًا وأعوانًا، قاموا بمتابعته ونصرته ومناصحته، وذلك حين همَّ به بنو إسرائيل،

---

(١) تفسير ابن المنذر (١/ ٢١٦) ٥١٤وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٩) ٣٥٦٨ وتفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٥/ ٤٤٤)، عن ابن عباس، وهو صحيح.

ووشوا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان، فعزموا على قتله وصلبه، فأنقذه الله منهم.

فأيد الله من آمن به على من كفر فيما بعد، وأصبحوا ظاهرين عليهم قاهرين لهم.

نزول المائدة على الحواريين:

أمر عيسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ الحواريين بصيام ثلاثين يومًا، فلما أتموها سألوا من عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم، أن الله قد تقبل صيامهم وأجابهم إلى طلبتهم، وتكون لهم عيدًا يفطرون عليها يوم فطرهم، وتكون كافية لأولهم وآخرهم، لغنيهم وفقيرهم، فوعظهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها، ولا يؤدوا حق شروطها، فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربه، عز وجل، فلما لم يقلعوا عن ذلك، قام إلى مصلاه ولبس مسحًا من شعر، وصف بين قدميه وأطرق رأسه، وأسبل عينيه بالبكاء، وتضرع إلى الله في الدعاء والسؤال، أن يجابوا إلى ما طلبوا، فأنزل الله تعالى المائدة من

السماء، والناس ينظرون إليها تنحدر بين غمامتين، وجعلت تدنو قليلا قليلا، وكلما دنت سأل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه، عز وجل، أن يجعلها رحمة لا نقمة وأن يجعلها بركة وسلامة، فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي مغطاة بمنديل، فقام عيسى يكشف عنها.

وخر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والحواريون لله سجدًا شكرًا بما رزقهم من حيث لم يحتسبوا، وأراهم فيه آية عظيمة ذات عجب وعبرة، وأقبلت اليهود ينظرون فرأوا أمرًا عجيبًا أورثهم كمدًا وغمًا، ثم انصرفوا بغيظ شديد.، وأشد الناس عذابًا من كفر من أصحاب المائدة (١).

ومن تعظيم المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ لربه أنه رأى رجلا يسرق فقال له أسرقت قال كلا والله الذي لا إله إلا هو فقال عيسى آمنت بالله وكذبت عيني (٢).

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٩/ ١٣٢) عن عبدالله بن عمرو وهو صحيح.

(٢) صحيح البخاري ٣٤٤٤ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

غلو النصارى بعيسى بن مريم:

غلت فرقة من النصارى وقالوا إن عيسى ابن الله وقال بعضهم هو ثالث ثلاثة، ورفعوه فوق منزلته قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ (٢).

رفع المسيح عيسى بن مريم إلى السماء:

لما أراد الله عز وجل أن يرفع عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى السماء خرج على أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلا ورأسه يقطر ماء فقال أيكم يلقى شبهي عليه فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي فقام شاب من أحدثهم سنًا فقال أنا، فقال اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا، فقال اجلس ثم أعاد عليهم الثالثة، فقال الشاب أنا، فقال عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نعم أنت، فألقى عليه شبه عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم رفع عيسى من نافذة كانت في البيت إلى السماء، وقد ألقى الله عليه النوم ثم رفع إلى السماء.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٣.

وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشاب للشبه الذي ألقي عليه فقتلوه يظنونه المسيح ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم صلبوه، فتفرقوا ثلاث فرق:

فقالت فرقة: كان فينا الله عز وجل ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية [١]وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء النسطورية [٢].

وقالت طائفة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه [٣].

رؤية النبي ﷺ لعيسى بن مريم:

قال النبي ﷺ: «**مررت بعيسى فقال مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا قال عيسى**» [٤].

وقال النبي ﷺ: «**رأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة أحمر كأنما**

---

(١) اليعقوبية أتباع يعقوب الإسكاف.

(٢) النسطورية أصحاب نسطورا.

(٣) سنن النسائي الكبرى (٦/ ٤٨٩) ١١٥٩١ والأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٤/ ٢٢١) ٤٠٢ ومصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٣٣٩) ٣١٨٧٦عن ابن عباس وهو حسن.

(٤) صحيح البخاري ٣٣٤٢ عن أبي ذر.

خرج من ديماس أي من حمام [١]. والربعة بين الطويل والقصير».

ورآه في المنام قال رسول الله ﷺ قال بينا أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر ينطف أو يهراق رأسه ماء قلت: من هذا؟ قالوا ابن مريم [٢].

وقال النبي ﷺ رأيت عيسى أحمر جعد عريض الصدر [٣].

نزول المسيح آخر الزمان:

ينزل ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ آخر الزمان حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد [٤].

ويعطل الملل، حتى تهلك في زمانه الملل كلها غير الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب، وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسد جميعًا، والنمور مع البقر،

(١) صحيح البخاري ٣٣٩٤ عن أبي هريرة.
(٢) صحيح البخاري ٧١٢٨ عن عبد الله بن عمر.
(٣) صحيح البخاري ٣٤٣٨ عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٤) صحيح البخاري ٢٢٢٢ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ.

والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات، لا يضر بعضهم بعضًا، [(١)]ويرجع السلم، وتتخذ السيوف مناجل[(٢)]، وتذهب حمة كل ذات حمة، أي سم ذوات السم – وتنزل السماء رزقها، وتخرج الأرض بركتها[(٣)]"

وقت نزوله وكيفية نزوله وأين ينزل؟

ينزل آخر الزمان ويكون حين يستعد المسلمون لقتال الدجال فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم[(٤)]فيقول أميرهم تعال صل لنا. فيقول لا. إن بعضكم على بعض أمراء [(٥)].

ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، وعليه ثياب صفراء [(٦)]، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١٥/ ٣٩٨) ٩٦٣٢ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ وهو صحيح.

(٢) يتركون الجهاد ويشتغلون بالحرث والزراعة.

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (١٦/ ١٨٢) ١٠٢٦١عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ وهو حسن.

(٤) صحيح مسلم ٦٤٦٠.

(٥) صحيح مسلم ٤١٢.

(٦) مصبوغة بلون بين الورس والزعفران.

منه جمان كاللؤلؤ، من صفاء وجهه وحسنه، وهو رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، سبط كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فيطلب المسيح الدجال فإذا رآه عدو الله يذوب كما يذوب الملح ولو تركوه لذاب حتى يهلك ولكنه يقتله الله بيده فيريهم دمه بحربته وذلك في (باب لُد) وهي مدينة في فلسطين.

ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله من الدجال فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم، وهم يأجوج ومأجوج فحرز عبادي إلى الطور. فيجعل لهم حصنًا منهم.

ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب

نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك.

فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرِسل -وهو اللبن، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس (١)

ويأتم بإمام المسلمين ويصلي خلفه(٢)، تكرمة الله هذه الأمة(٣) ويأتي المدينة النبوية قال عليه الصلاة والسلام: لئن قام على قبري فقال: يا محمد لأجيبنه (٤).

ويحج البيت الحرام عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجًا أو معتمرًا أو ليثنينهما»**(٥).

---

(١) صحيح مسلم ٧٥٦٠ وصحيح ابن حبان (١٥/ ٢٢٤)٦٨١٣عن النواس بن سمعان عن رسول الله -ﷺ

(٢) صحيح البخاري ٣٤٤٩عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ.

(٣) صحيح مسلم ٤١٢ عن جابر بن عبد الله عن النبي -ﷺ.

(٤) مسند أبي يعلى (١١/ ٤٦٢) ٦٥٨٤وهو صحيح عن أبي هريرة عن رسول الله ـ ﷺ.

(٥) صحيح مسلم ٣٠٨٩.

ويمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه (١).

المسيح في القيامة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: تُلقى عيسى حُجته ولقّاه الله في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (٢) قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ فلقّاه الله ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ (٣).

وفي حديث الشفاعة (فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد صبيًا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول عيسى إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله قط ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبًا نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ(٤).

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١٥/ ١٥٣) ٩٢٧٠-(١٥/ ٣٩٨) ٩٦٣٢ وهو صحيح.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

(٣) سنن الترمذي ٣٠٦٢ وهو صحيح.

(٤) صحيح البخاري ٤٧١٢ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ.

أولى الناس بعيسى بن مريم:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات [١] ليس بيني وبينه نبي».

***

(١) قال العلماء أولاد العلات هم الإخوة لأب من أمهات شتى ومعنى الحديث أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة فإنهم متفقون في أصول التوحيد وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف.

خاتمة

تلك حياة رجال اختارهم الله واصطفاهم وفضلهم، ليكونوا حجة على عباده في تبليغ رسالاته، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ الآية[2].

وأوجب على العباد الإيمان بهم، وبما جاءوا به من التوحيد، وخاتمهم وسيدهم وأفضلهم محمد عليه الصلاة والسلام خير الخلق أجمعين.

وأوجب الله على العباد تصديقهم، وهم أشرف الأمم أنسابًا، وأزكاهم نفوسًا، وأكرمهم أخلاقًا، وأعظمهم شرفًا وسؤددًا.

ونشهد لهم أنهم بلّغوا رسالاتهم إلى أممهم، ولم يكتموا منها شيئًا، ونصحوا لأممهم، وبيّنوا ما أرسلوا به، قامت بهم عليهم الحجة.

قد عصمهم الله عن الخطأ فيما بلغوا عن ربهم من الدين، وهم

(١) سورة الحج، الآية: ٧٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

أكمل الخلق علمًا وعملاً، وأبرّهم وأرحمهم، وهم بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء. وإنما هم عباد أكرمهم الله بالرسالة.

ويجب الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه والنبي ﷺ في سنته.

هذا ما تيسر كتابته وأسأل الله أن يجعله من العلم النافع يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتبه

أحمد بن صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن الطويان

الفهرس

***